روايات عالمية للناشئة

كتاب الأدغال

ريديارد كبلنغ



H. FARHAT

روايات عالمية للناشئة

كتاب الأدغال

كتاب الأدغال

(ريديارد كبلنغ)

1865 - 1936

ترجمة

د. محمد نديم خشفة

ذكرى [illegible] حاج حسين

إشـــراف : محمـــد كمـــال

إخراج فني : م. نشوان خريط



كتاب الأدغال

الفصل الأول



كانت الساعة السابعة ذات ليلة شديدة الحر في هضاب سونيه في الهند ، واستيقظ الذئب الأب بعد أن نام طول النهار ، وتثاءب وحكّ جلده ، وطقطق قوائمه الواحدة بعد الأخرى ليطرد إحساسه بالكسل الذي خدّر أطرافه .

وأما الذئبة الأم فكانت مستلقية وقد دسّت أنفها بين صغارها الذين يتهارشون ويصرخون .

وكان ضوء القمر ينير مدخل المغارة التي يسكنونها جميعاً .

قال الذئب : حان وقت الصيد .

وكاد ينحدر من الهضبة حين وقف بعتبة المغارة حيوان ضئيل الحجم كثيف الشعر ، وقال : حظاً سعيداً يا زعيم الذئاب ، وحظاً سعيداً وأسناناً بيضاء أتمناها لأولادك النبلاء ، وعساهم لا ينسون أبداً الجوعى في هذه الدنيا .

إنه (تباكي) لحّاس الصحون ، الذي تحتقره ذئاب الهند جميعاً لثرثرته ولغذائه المؤلف من الأسماك البالية وقطع الجلد الموجودة في قمامة المدينة ، ولكن ذئاب الهند تخشى (تباكي) أيضاً ، لأنه يتعرض لنوبات مخيفة من السُّعار ،

فحينئذٍ لا يخاف أحداً ويجري في الغابة ، فينهش من يصادف في طريقه ، حتى النمر يهرب ويختبيء حين يصاب (تباكي) بالسعار ، لأنه لا شيء يجلب العار للحيوان البري مثل إصابته بالسعار .

قال الذئب بجفاء :

– حسناً ، ادخل وانظر بنفسك ، لا شيء يؤكل هنا .

قال (تباكي) :

– لا شيء ليأكله الذئب حتماً ، وأما بالنسبة إلى مخلوق مثلي لا قيمة له ، فإن قطعة عظم تساوي حفلة عامرة ، إننا أبناء آوى نرضى باليسير .

هرول إلى داخل المغارة فوجد عظم ماعز ما يزال فيه بقية لحم فجلس يأكله باستمتاع .

قال وهو يلعق شفتيه :

- شكراً لهذه الوجبة الشهية ، ما أجمل هذه الذئاب الصغيرة وما أنبلها ! وما أحلى عيونها الواسعة على الرغم من نعومة أظافرها ! وأقول الحق إن أبناء الملوك يولدون سادة .

وكان (تباكي) يعلم أنه لا يجب المبالغة في مدح الصغار ، فكان يجد متعة خبيثة في إحراج أم الذئاب وإحراج أبيهم ، فأقعى (تباكي) على مؤخرته وهو فخور بلعبته الشريرة ، ثم قال بلهجة ماكرة :

- شيرخان الكبير بدّل مجال صيده ، وبحسب ما قاله لي فإنه سيصيد هنا في هذه الهضبات الشهر القادم .

وكان شيرخان نمراً يعيش قرب نهر (ونغونغا) وسط الهند ، على بعد عشرين كيلومتراً من الأدغال .

قال الذئب غاضباً : ليس له الحق ، إن قانون الأدغال يمنعه من تبديل مكانه دون أن يعلن هذا مسبقاً .

قالت الذئبة بهدوء :

– لذلك أسمته أمه لونغري (الأعرج) ، كان يعرج منذ ولادته ، ولذلك لا يقدر إلا على افتراس المواشي ، وقد أثار غضب الفلاحين عليه في (ونغونغا) ، وها هو يأتي إلى ديارنا لكي يثير غضب فلاحينا ، ولسوف يقلبون الأدغال بحثاً عنه حين يكون قد ابتعد ، فيشعلون النار في الأعشاب ، ونهجر الديار نحن وأبناؤنا .. آه .. إن شيرخان خبير بابتكار المتاعب .

وسأل (تباكي) : وهل تريدون أن أخبره بغضبكم ؟

فقال الذئب : هيا ، اذهب للصيد مع سيدك ، لقد أفسدت بما يكفي هذه الليلة !

فقال (تباكي) بهدوء : إني ذاهب ، ولكن أتسمعون شيرخان قرب الأجمات ؟ هذا يعفيني من نقل الرسالة إليه .

فأصغى الذئب ملياً . كانت تتصاعد من الوادي المؤدي إلى النهر شكوى نمر غاضب لم يصد أي فريسة ، ولا يبالي أنْ علمت الأدغال كلها بقدومه .

قال الذئب : الأحمق ، كيف يبدأ ليلة صيدٍ بكل هذه الضوضاء ! وهل يظن أن وعولنا بمثل غباءِ الدواب في (ونغونغا) ؟

وقالت الذئبة : اسمع ، إنه لا يصيد هذه الليلة ثوراً ولا وعلاً بل يصيد إنساناً .

وتحول السهل إلى همهمات وضوضاء قادمة من الجهات الأربع ، تلك الضوضاء التي تفزع الحطّابين والغجر النائمين في العراء ، وتدفعهم إلى شدق النمر دفعاً .

قال الذئب وأسنانه الناصعة تلمع : يصيد الإنسان ؟ !
ألا يكفيه ما في الوادي من حشرات وضفادع حتى اشتهى أكل إنسان وفي إقليمنا أيضاً ؟

إن قانون الأدغال الذي ينظم الحياة فيها يمنع على أي حيوان أن يأكل لحم الإنسان إلا لكي يوضّح لصغاره كيف يكون القتل ، ويجب عليه في هذه الحالة أن يصيد بعيداً عن مجالات الصيد الخاصة بفصيلته أو قبيلته ، وسبب ذلك أن قتل إنسان واحد سيؤدي طال الزمن أو قصر إلى قدوم أناس بيض مسلحين بالبنادق يركبون الفيلة ، ومعهم مئات من الناس السمر يحملون الصنوج والبنادق والمشاعل ، حينئذٍ يشمل الرعب سكان الأدغال جميعاً . وقد انتشر بين الحيوانات قول مأثور هو أن الإنسان أضعف المخلوقات

وليس من الشهامة التعرض له ، وأن من يأكل إنساناً يصاب بالجرب وتتساقط أسنانه .

ارتفع صوت الزئير ثم انتهى بصرخة : (آه .. آه ..) هائلة .

لقد هجم النمر ، ثم تبع هذه الصرخة زئير الغضب ، فقد أفلتت الفريسة من مخالبه .

قالت الذئبة : أفلتت الفريسة من شيرخان فما تلك الفريسة ؟

ابتعد الذئب بضع خطوات عن مدخل المغارة وأرهف أذنيه ، فسمع شيرخان يدمدم ساخطاً ويزأر هائجاً وقد علق في أجمة من الأشواك .

قال الذئب متعجباً : يا له من أحمق ، لم يجد شيئاً يفعله سوى أن يدوس على نار المخيم التي أشعلها الحطاب ، فأحرق قوائمه ، و (تباكي) يتبعه .

أرهفت الذئبة السمع وقالت : أحد ما يتسلق الهضبة فاستعدّ له .

وتكسرت الأغصان اليابسة الملقاة على الأرض ، فاستجمع الذئب قواه واستعد للهجوم ، ثم وثب في الهواء دون أن يعرف مَنْ يهاجم ، ولكنه توقف على ارتفاع مترين وقد بدَّل رأيه فسقط في مكانه ، وصرخ فجأة : إنه إنسان ، إنسان صغير . انظري !

أمام ناظريه كان يقف طفل صغير أسمر عاري الجسم لا يكاد يقوى على السير .

– يا له من إنسان لطيف سمين .

وكانت هذه المرة الأولى التي يقف فيها طفل أمام مغارة الذئاب ليلاً .

رفع عينيه إلى الذئب وحدق في وجهه مباشرة وبدأ يضحك .

قالت الذئبة : هذا هو إذن الإنسان الصغير ! لم أر مثله في حياتي ، احمله إلي .

لقد تعود الذئب على الانتقال بصغاره من مكان إلى آخر ، وهو قادر على أن يحمل بيضة بأسنانه ولا يكسرها ، فأحكم الذئب أسنانه على ظهر الصغير ثم حمله ومشى به ، ووضعه بين صغاره فلم تترك أسنانه أثراً في جلد الطفل ولو خدشاً بسيطاً .

قالت الذئبة بحنان : يا له من طفل لطيف ولا وَبَر له أو شعر يحميه ، ما أشجعه ؟

وحين وجد الطفل نفسه بين الصغار زاحمهم ليرضع من ثدي الذئبة ، فقالت الذئبة العطوف : ها هو يتناول طعامه مع الآخرين ، هذا هو الإنسان الصغير إذن ، ولا أظن أن ذئبة قبلي قد أرضعت إنساناً صغيراً مع أبنائها !

قال الذئب : لقد حدث هذا من قبل عدة مرات كما سمعت ، ولكنه لم يحدث في عشيرتنا ولا في حياتي ، ليس للإنسان فرو ، وأستطيع أن أصرعه بضربة واحدة ، ولكن تأمليه كيف ينظر إلي ولا يخافني .

فجأة اندس في مدخل المغارة رأس شيرخان الضخم فأظلمت ، إذ حجب عنها النور ، و (تباكي) يتبعه ، فقال :

– يا سيدي ومولاي لقد دخل إلى هنا .

قال الذئب وعيناه محمرتان :

– شرّفنا شيرخان بزيارته ، فماذا يريد السيد شيرخان ؟

فقال شيرخان :

– أريد فريستي ، إنساناً صغيراً لجأ إلى هنا وقد هرب أهله ، أعطني إياه .

كان ظن الذئب في محله ، لقد داس شيرخان على نار مخيم الحطاب فأطارت آلام الحروق صوابه .

وكان الذئب يعرف أن مدخل المغارة لا يتسع لدخول النمر .

وقد حشر " شيرخان " رأسه ويديه ، فكان يشبه رجلاً يسعى إلى القتال وهو محشور في برميل .

قال الذئب : الذئاب شعب الأحرار ولا يطيعون سوى رئيس العشيرة ، ولا يهتمون بقاتل المواشي ، وهذا الإنسان الصغير هو لنا وحياته مرهونة بقرارنا .

– وكيف تتحدث عن القرارات ؟ فليس لك رأي كما أعلم ، وأقسم بالثور الذي صرعته أني لن أبقى محشوراً في جحر الكلاب هذا أستجدي حقي .. أنا شيرخان الذي يكلمك ..

ورددت المغارة صدى زئيره الهائل .

جذبت الذئبة نفسها من صغارها واندفعت ، وكأنَّ عينيها قمران أخضران يلمعان في الظلام تتحدى عيني شيرخان اللتين تقدحان شرراً .

– أنا ركشا (العفريتة) التي سأرد عليك ، الإنسان الصغير ملكي ، ملكي أنا وحدي ولن تقتله ، سيعيش ليجري مع العشيرة ويصطاد مع العشيرة ، واحذر أيها النمر يا صائد الصغار دون فرو ، وآكل الضفادع وقاتل الأسماك ، احذر .. سيأتي يوم يصيدك هو فيه ، نعم سيصيدك هذا الصغير ..

سيصيدك .. والآن اغرب عنا وإلاّ قسماً بالأيل الذي قتلته لأرسلنك إلى أمك العرجاء مثلك يا أغبى من في الأدغال ، هيا ..

وكان الذئب يراقب المشهد مدهوشاً ، وهل ينسى كيف تقرّب إلى الذئبة ، فقاتل من أجلها خمسة ذئاب ، ولذلك أطلقوا عليها في العشيرة لقب العفريتة وهذا يناسبها تماماً .

قد يتحاور شيرخان مع الذئب ، وأما مع الذئبة فإنه خاسر تماماً ، وكان يعرف أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً وهو محشور في مدخل المغارة ، وأنها تقاتله حتى الموت .

وهكذا تراجع إلى الوراء وخلّص نفسه من مدخل المغارة وهو يدمدم وصرخ بعدئذٍ :

– كل ديك على مزبلته صيّاح ! سنرى رأي العشيرة في عزمك على تربية هذا الإنسان الصغير ، ومهما يكن الأمر

فالصغير لي ، ونهايته الوقوع تحت أنيابي ، يا لصوص يا ذوي الأذناب المنفوشة !

كانت الذئبة تتنفس بعمق ، فعادت إلى احتضان صغارها ، فقال الذئب بوقار :

– شيرخان عنده الحق في هذه القضية ، يجب أن نعرض الصغير على العشيرة ، أما زلت راغبةً في الاحتفاظ به يا أمَّ الصغار ؟

فكادت الذئبة تختنق من القهر وصرخت :

– طبعاً سأحتفظ به ، فقد جاءنا في ظلمة الليل عارياً وحيداً جائعاً ولم يشعر بالخوف ، انظر إليه كيف يزاحم الصغار ويأخذ مكانهم ، لقد كاد هذا الجزار الأعرج أن يقتله ثم يهرب إلى بلدته ناجياً بنفسه ، ويتركنا نواجه الفلاحين الذين يهجمون على جحورنا فيهدمونها ، كيف لا أحتفظ

به ؟ سأحتفظ به طبعاً ، نم هانئاً أيها الضفدع الصغير ، نعم سأسميك " ماوغلي الضفدع " ، وسوف يأتي زمان تصيد فيه شيرخان كما صادك .

قال الذئب : وماذا ستقول العشيرة ؟

يسمح قانون الأدغال لكل ذئب حين يتزوج أن ينفصل عن العشيرة التي ينتسب إليها ، ولكن حين يكبر صغاره ويقفون على أقدامهم يجب عليه أن يأخذهم إلى مجلس العشيرة الذي يجتمع كل شهر حين يصير القمر بدراً لكي تتعرف عليه بقية الذئاب ، بعدئذٍ يمكنهم التنقل حيث يشاؤون .

ولكن إذا قتل ذئب بالغ واحداً منهم فإن جزاءه الموت ، وهذا أمر طبيعي لأن الذئب البالغ الذي لم يستطع اصطياد أيّل بل هاجم ذؤيباً وقَتَله إنما هو جبان يستحق الموت .

الفصل الثاني



حين أصبح الصغار قادرين على الجري هنا وهناك اصطحبهم الذئب والذئبة وماوغلي معهم إلى صخرة المجلس .

كانت ركاماً من الحجارة والحصى في أعلى الهضبة تتسع لمائة من الذئاب ، وكان (أكيلا) الذئب الأغبر متمدداً

بطوله على الصخرة ، وهو زعيم العشيرة كلها لقوته وحدة ذكائه .

وفي منـــزلة أدنى منه جلس أربعون ذئباً من كل الأحجام والألوان ، فيهم الذئاب المهرة القادرون على اصطياد أيّل ضخم بمفردهم ، وفيهم صغار الذئاب السوداء التي لم تتجاوز الثلاثة أعوام المغرورة بنفسها . لقد أصبح الذئب المتوحد زعيماً لهم منذ عام ، وحين كان فتى وقع مرتين في فخ منصوب للذئاب ، ومرة ثالثة حين أصابوه فأشرف على الهلاك ، فهو عليم بعادات الإنسان .

ولا أحد يرفع صوته بالكلام فوق الصخرة ، أما الصغار فتتهارش وسط دائرة شكّلها الآباء والأمهات حولهم .

ومن وقت إلى آخر يتوجه ذئب شاب إلى ذؤيب فيرميه بنظرات التأنيب يدعوه إلى السكوت ، ثم يعود إلى مكانه بخطوات هادئة .

وأحياناً تخشى الأم ألا يرى أحد صغيرها ، فتدفعه ليراه الذئاب تحت ضوء القمر .

ويصرخ (أكيلا) من أعلى الصخرة :

– أيها الذئاب ، أنتم تعرفون القانون ، انظرو إليه جيداً !

وتردد الأم خائفة :

– انظروا .. انظروا أيها الذئاب !

وقبل أن ينفضّ المجلس كان وبر الذئبة الأم قد اقشعر واقفاً ، ودفع الذئب الأب " ماوغلي الضفدع " إلى وسط

الدائرة حيث نادوه ، وهناك جلس على الأرض يضحك ويلهو بالحصى البراق تحت ضوء القمر .

كان (أكيلا) قد وضع يديه حول شدقه وهو ينادي :

– انظروا .. انظروا جيداً ..

فانطلقت دمدمة من وراء الصخور ، إنه صوت شيرخان وهو يصيح :

– هذا الولد لي ، أعطوني إياه يا شعب الأحرار ، وأي فائدة لكم من إنسان صغير ؟

فلم يكلف (أكيلا) نفسه تحريك أذنيه وقال هادئاً :

– انظرو أيها الذئاب ، شعب الأحرار لا ينفّذ سوى أوامر من ينتسب إلى شعب الأحرار ، انظروا إليه جيداً !

وارتفعت الهمهمات بين صغار الذئاب ، والتفَّ ذئب ذو أربعة أعوام نحو (أكيلا) وهو يردد سؤال شيرخان :

– يا شعب الأحرار ، أي فائدة لكم في إنسان صغير ؟

كان قانون الأدغال يقضي في حالة الاختلاف حول قبول أحد الصغار في العشيرة أن يتقدم اثنان على الأقل من هذه العشيرة ما عدا أباه وأمه ، ويصوّتا لصالحه .

وسأل (أكيلا) :

– من يصوت لصالح هذا الصغير ؟ من يتكلم من شعب الأحرار ؟

فلم يسمع جواباً .

وأحست الذئبة الأم بأن عليها أن تخوض معركة ضارية تنقذ هذا الصغير إذا لم يتقدم أحد للدفاع عن " ماوغلي " .

حينئذٍ تقدم الدب (بالو) ، وهو الحيوان الغريب الذي قبلوه في مجلس العشيرة ، وهو دب أسمر مكلف بتعليم صغار

الذئاب قانون الأدغال ، وله الحق في التجوال حيث يشاء ، لأنه يتغذى على الجوز والجذور والعسل .

وقف الدب (بالو) على قائمتيه الخلفيتين وقال :

– الإنسان الصغير .. الإنسان الصغير .. أنا أصوّت لصالح الإنسان الصغير ، فلا خطر من الإنسان الصغير ، ولست موهوباً في الخطابة ولكن أقول الحقيقة ، فليسرح مع العشيرة وليكن مع أفرادها ، وسوف أتكفل بتعليمه .

قال (أكيلا) :

– يلزمنا شخص آخر ، لقد تكلم (بالو) وهو معلم صغارنا ، من يضم صوته إلى (بالو) ؟

وسقطت كتلة سوداء في وسط الدائرة ، إنها (باغيرا) الفهدة السوداء ، جلدها أسود كالحبر ، ولكن إذا سقط

عليه النور ظهرت عليه بقع أشد سواداً وكأنه قماش حريري لامع .

الجميع يعرفون (باغيرا) ولا يجرؤ أحد على معارضتها ، فإن لها دهاء (تباكي) وشجاعة ثور هائج وتهور فيل جريح ، وأما صوتها فله عذوبة العسل البري الذائب على الأشجار ، وأما جلدها فأنعم من زغب الطير .

قالت (باغيرا) :

– يا أكيلا ، يا شعب الأحرار ! لا حق لي على مجلسكم ، ولكن قانون الأدغال يقضي بأنه إذا حدث خلاف حول صغير وافدٍ فإنه يمكن افتداء حياته ودفع ثمنها ، ولا يحدّد القانون من له الحق في دفع هذه الفدية ، ألست على صواب ؟

قال صغار الذئاب الذين يحسون بجوع دائم :

– تماماً .. تماماً ، أصغوا إلى (باغيرا) يمكن افتداء الصغير ، إنه القانون .

فتابعت الباغيرا :

– أعلم أنْ ليس لي الحق في الكلام هنا ، فأطلب الإذن منكم !

وصرخ عشرون صوتاً :

– تكلمي .. تكلمي ..

– إن قتل صغير عارٍ من الفرو لعارٌ كبير ، وقد يساعدنا على الصيد حين يغدو كبيراً ، لقد صوت (بالو) لصالحه وأضم صوتي إليه ، بالإضافة إلى هديتي وهو ثور ثمين طازج قتلته منذ قليل على بعد كيلومتر واحد من هذا المكان ، وهو لكم إذا قبلتم الإنسان الصغير طبقاً للقانون ، فهل فيكم من يعارض هذا القرار ؟

فاختلطت الأصوات وتكلم الجميع بصوت واحد :

- لا يهم ، سيموت تحت أمطار الشتاء ، سيحترق تحت أشعة الشمس .

- ما خطر ضفدع عار ؟

- فليسرح مع العشيرة .

- أين ذلك الثور يا باغيرا ؟

- لنقبل هذا الصغير إذاً ..

وأطلق (أكيلا) عواءه عالياً :

- انظروا جيداً ، انظروا جيداً يا شعب الأحرار .

وأما " ماوغلي " الذي يلهو بالحصى فلم يهتم بالذئاب التي تتفحصه واحداً تلو الآخر ، وحين انتهوا هبطوا الهضبة يتراكضون نحو الثور القتيل ، ولم يبق سوى " أكيلا " و " باغيرا " و " بالو " وأهل " ماوغلي " .

وزمجر شيرخان مرة ثانية في الظلام غاضباً لأنه فشل في الحصول على " ماوغلي " .

همست باغيرا :

– زمجر ما شئت ، سيأتي زمان يضطرك فيه هذا الصغير العاري إلى الزمجرة بنغمة أخرى ، فأنا خبيرة بالناس .

قال أكيلا :

– أحسنت ، فالناس وصغارهم شديدو المكر ، وحين يحين الأوان سيكون " ماوغلي " خير عون لنا .

قالت باغيرا :

– بالتأكيد ، وسيأتي الوقت لاختيار زعيم جديد للعشيرة ، لأنه لا يمكن لأحد أن يتزعم العشيرة دائماً .

لم ينطق أكيلا بحرف ، وكان يفكر في الوقت الذي تغادره قواه ويضعف جسمه يوماً بعد يوم ، وتكون نهايته

الموت ببراثن الذئاب ، ويخلفه زعيم جديد ، وسوف يقتل ذلك الزعيم أيضاً .

قال أكيلا للذئب الأب :

– خذه معك ، ودربه كما ينبغي لصبي من شعب الأحرار .

وهكذا قُبِلَ " ماوغلي " لدى شعب الأحرار ، وكانت فديته ثوراً وكلام (بالو) .

الفصل الثالث



كبر ماوغلي مع صغار الذئاب ، وعلّمه الذئب الأب كيف يعيش وكأنه ذئب فعلاً ، وكيف يفهم دلالة الأشياء في الغابة ، فكان لا يخفى عليه معنى حفيف من العشب ، أو صفير في جو الليل الحار ، ويفهم نغمات البومة في الظلام ، وخمشات الوطواط على الأشجار ، وكل حركة تقوم بها الأسماك في الغدير .

وحين لا يكون لديه شيء يتعلمه يجلس تحت أشعة الشمس لينام ، وإذا رأى على جسمه وسخاً أو أحس بالحرارة مضى إلى السباحة في بحيرات الغابة ، وقد أخبره (بالو) أن العسل لذيذ مثل الجوز واللحم النّيء ، فكان يتسلق الأشجار بحثاً عنه ، وباغيرا هي التي علمته كيف يتسلق الأشجار ببراعة . كانت تتمدد على غصن شجرة وتناديه :

– تعال إلى هنا ، تعال يا أخي الصغير !

كان ماوغلي في البداية يتسلق ببطءٍ مثل ذلك الحيوان الذي يسمونه الكسول ، ثم تعلّم كيف ينطلق عبر الأغصان ببراعةٍ وجرأةٍ مثل القرود الرمادية ، وقد اشترك في جلسات العشيرة على صخرة المجلس ، وهناك اكتشف قوة نظرته ،

فكان يكفيه أن يثبت نظراته في عيني ذئب حتى يغض هذا نظره في الحال ، وقد تمتع كثيراً بهذه اللعبة .

وكثيراً ما كان ينـــزع الأشواك الطويلة حين تنغرز في أصابع أصدقائه . لأن الذئاب تعاني من وخز الأشواك وأقماع الكستناء التي تعلق بشعرها . وحين يخيم الظلام كان ماوغلي يهبط إلى الوادي نحو الأرض المزروعة يرقب بفضول شديد الفلاحين في أكواخهم .

ولكنه كان يحذر من البشر ، لأن (باغيرا) أرته ذات يوم علبة مربعة وفيها شبكة حديد مخبأة ببراعة في الأدغال ، وكادا يمشيان عليها ، وقالت له : " إنه فخ " .

وكم كان يحب الانطلاق مع باغيرا إلى أعماق الغابة المعتمة الرطبة وينام هناك طول النهار ، وحين يحل الظلام

ودار بينهم الحديث حول الأعمال التجارية التي يقوم بها هذان النخاسان ، فأثنى على جهودهما بكلمات أكدت لهما أن محدثهما من علْية القوم .

حينما غادر الفندق أحدهما إلى مزرعة السيد شلبي ليأخذ العم توم ، والثاني إلى الضفة الأخرى من النهر ليطارد العبيد الآبقين ، لم يعلما أنهما كانا على قيد شعرة من الحصول على الأربعمئة دولار مكافأة القبض على العبد "جورج " .

أما جورج فقد وقف في نافذة غرفته ، وقد أخفاه لقبه عن العيون كما لاتخفيه أكثف الأدغال . وكان يصغي إلى هدير النهر الذي عبرته زوجته وولده ، وقلبه يتقطع حسرات .

قبل ساعات من مغيب الشمس ، كانت إليزا منهكة تطرق باب السيناتور بيرد ، فاستقبلها بترحابٍ الخادمُ الهرم كودي ، وهتف مندهشاً :

– يا رب ! ماذا حدث لك أيتها البائسة ؟ .

فأدخلها إلى المطبخ وأجلسها قرب المدفأة . ثم التفت إلى زوجته ذات الشعر الأشيب وقال :

فقط من قانون الأدغال ، وينقطعون عن الدراسة حينما يحفظون غيباً سورة الصيد ونصها :

" قوائمنا خفيفة الوطء .. عيوننا قادرة على الرؤية في الظلام .. آذاننا تسمع الريح ولو في أعماق المغارات .. وأنيابنا بيضاء معكوفة .. وكل من يحمل هذه العلامات هو أخ لنا .. ما عدا تباكي وابن آوى والضبع الذين يكرهوننا " .

أما ماوغلي الإنسان الصغير فكان عليه أن يتعلم المزيد .

كانت باغيرا تتسكع أحياناً عبر الأدغال وتمر على ماوغلي لترى تقدمه في الدراسة ، فتسند رأسها إلى إحدى الأشجار على حين يستظهر ماوغلي درس ذلك اليوم مع بالو .

كان الفتى بارعاً في السباحة براعته في الجري ، وقد علمه (بالو) الفقيه القانوني قوانين الأخشاب والمياه ، وكيف يفرّق بين غصن منخور وغصن قوي ، وكيف يخاطب النحلات البرية بلطف حين يصادف بعض أفرادها على ارتفاع عشرين متراً من سطح الأرض ، وعلمه الكلام الذي يخاطب به الوطواط " مانغ " حين يقلق نومه وسط النهار ، وكيف ينبّه أفاعي الماء قبل أن يعوم معها في البحيرات .

لا يجوز أن تزعج أحداً وإلا انقضّ عليك .

وتعلم صرخة الصيد التي يطلقها الغريب حين يصيد بعيداً عن إقليمه ، فما يزال يرددها حتى يأتيه الجواب بالموافقة .

وترجمةُ السؤال : اسمح لي بالصيد هنا لأني جائع .

وترجمة الجواب : مسموح لك بالصيد لتأكل لا لتتسلى .

وكما ترون فإن على ماوغلي أن يتعلم دروساً كثيرة عن ظهر قلب ، وكان يصيبه التعب إذ يعيد الدرس مائة مرة .

وذات يوم صفع " بالو " ماوغلي ، فهجر الدراسة غاضباً .

قال بالو لباغيرا يشكوه إليها :

– الإنسان الصغير يظل صغيراً ، ومهما فعل فإن عليه أن يتعلم قوانين الأدغال كلها ، نعم كلها ..

فأجابته الفهدة السوداء التي تميل إلى تدليل ماوغلي لو أتيح لها ذلك :

– نعم ولكنه صغير جداً ، فكيف يتسع رأسه الصغير لخطبك الطويلة ؟

– أنت تعلمين أن الصغار في الأدغال أكثر عُرْضة إلى الأخطار ، ولذلك أعلمه هذا ، ولابد من أن أعاقبه بلطف حين ينسى .

فزمجرت الباغيرا :

– بلطف ، وهل تعرف أنت معنى اللطف ويدك مثل المطرقة ؟ ! ومن شدة لطفك اصطبغ وجهه بالبقع الزرقاء .

فأجابها بالو بعناد :

– أُفضّل أن يصطبغ جسمه كله من رأسه إلى قدمه باللون الأزرق على أن أراه مقتولاً بسبب جهله ، وإني ألقنه الآن الكلمات الرئيسية التي تحميه من الطيور ومن شعب الثعابين ومن كل ما يصيد على قوائمه الأربع ما عدا عشيرته نفسها ، ويكفيه أن يحفظ هذه الكلمات ليحصل على حماية كل سكان الأدغال ، ألا يستحق هذا " صفعة بسيطة " ؟

– ليكن ، ولكن احرص على ألا تقتل الإنسان الصغير ، فليس أمامك جذع شجرة تشحذ عليها مخالبك ، ولكن ما تلك الكلمات الرئيسية التي تحدثت عنها ؟ أمّا أنا فإني قادرة على تقديم مخلب المساعدة لا على تلقيه .

وتأملت باغيرا مخالبها المسنونة كالفولاذ الأزرق ثم قالت :

– ورغم ذلك فأنا أحب المعرفة ، سأنادي ماوغلي ليحدثني عن تلك الكلمات ، تعال يا أخي الصغير .

فأجابها صوت ماوغلي الحزين من فوق رأسيهما :

– إن رأسي يدوي مثل عش الدبابير .

وانزلق من أعلى الشجرة ، وحين وصل إلى الأرض قال :

– جئت إكراماً لباغيرا ، لا إكراماً لك يا بالو السمين .

فقال بالو وهو غاضب :

– لا يهم ، أعد على سمع باغيرا تلك الكلمات الرئيسية التي تعلمتها حتى الآن .

وسأل ماوغلي وهو فخور بإظهار معرفته :

– الكلمات الرئيسية لأي شعب ، لأن في الغابة كثيراً من اللغات وأنا أعرفها جميعاً .

– أنت تعرف الكلمات وهذا كل شيء ، ألا ترين يا باغيرا أنهم لا يشكرون أستاذهم أبداً ؟ وهل رأيت ذؤيباً أتى يشكو بالو الهرم على دروسه ؟ قل لي الكلمات الموجهة إلى شعب الصيادين أيها العالم الكبير .

– أنا وإياك من دم واحد .

نطقها ماوغلي بلهجة الدب الشائعة لدى كل شعوب الصيادين .

– حسن ، والآن الكلمات الموجهة إلى الطيور .

ونطقها ماوغلي ثم ختمها بصرخة النسور ، وقالت باغيرا :

– والكلمات الموجَهة إلى شعب الثعابين الآن ؟

وكان جوابه فحيحاً لا يمكن وصفه ، ثم ركب ظهر باغيرا وبدأ بحركات مشاغبة تعبيراً عن امتنانه لأستاذه .

فضحك الدب وقال مداعباً :

– وهذه تستأهل نقطة زرقاء أيضاً لا تنساها طول عمرك .

وبدأ يشرح الدب لباغيرا كيف أنه تعلم الكلمات الرئيسية من (هاثي) الفيل البري ، وكيف أن هاثي أخذ معه ماوغلي إلى إحدى البحيرات لكي يتعلم من ثعبان الماء كلمات الثعابين لأن بالو لا يقدر على نطقها .

وقد أصبح ماوغلي الآن محصّناً ضد كل الحوادث التي قد تطرأ في الأدغال ، فلن يؤذيه حيوان ولا طائر ولا ثعبان .

ثم ختم بالو حديثه وهو يفرك باعتزاز بطنه السمين :

– لن تخشى أحداً بعد الآن .

همست باغيرا :

– إلا أفراد قبيلته .

ثم توجهت بالكلام إلى ماوغلي :

– رفقاً بأضلاعي يا أخي الصغير ، لماذا تقفز هكذا ؟

كان ماوغلي يريد أن يجذب انتباهها إليه ، لذلك كان يضرب بقدميه أضلاعها وباغيرا مشغولة عنه بحديثها مع الدب بالو ، فصرخ ماوغلي بأعلى صوته :

– ستكون لي قبيلة وحدي ، فأسوقها طول النهار عبر أغصان الأشجار .

قالت باغيرا :

– ما هذا الجنون يا صاحب الأوهام ؟

فتابع ماوغلي كلامه :

– وسوف نرمي الأغصان والأوحال على بالو الهرم ، لقد وعدوني بهذا .

وبضربة واحدة أسقطه بالو من ظهر باغيرا ، ورفعت باغيرا رأسها إلى أعلى ، فلمحت الشرر يتطاير من عيني الدب ، فقال له بالو :

– ماوغلي ، هل تكلمت مع شعب القرود ؟

ونظر ماوغلي ليرى إن كانت الباغيرا غاضبة منه ، فإذا عيناها تلمعان كالياقوت الأصفر .

– هل تسكعت مع شعب القرود ، القرود الرمادية ؟

هذا الشعب الذي لا قانون يحكمه ، ويأكل كل ما يصادفه .

– يا للعار ؟

– حينما ضربني بالو على رأسي همت على وجهي ، فنـــزلت القرود من الأشجار وعطفوا علي .

وزمجر بالو :

– عطف القرود ؟ مستحيل إنه مثل برد الشمس أيام الصيف ، ثم ماذا أيضاً ؟

– ثم أعطوني جوزاً أو أشياء لذيذة ، ثم حملوني إلى أعالي الأشجار وقالوا لي إني أخوهم بالدم ، ولا ينقصنى سوى الذيل ، وإني سأكون زعيمهم ذات يوم .

قالت الباغيرا :

– هؤلاء لا زعيم لهم ، يكذبون .. شعب من الكذابين ..

– كانوا لطفاء معي ، وطلبوا مني الرجوع إليهم ، فلماذا تبعدونني عن شعب القرود ؟ إنهم يقفون على أرجلهم مثلي ، ولا يضربون بيد مثل المطرقة ، ويلعبون كل النهار ، أريد أن أعود !

قال الدب بصوت كالرعد :

– اسمع أيها الإنسان الصغير ! لقد علمتك كل قوانين الأدغال المعروفة لدى شعوب هذه الأدغال ما عدا شعب القرود الذي يعيش على الأشجار ويجهل هذه القوانين ، إنه شعب من شذّاذ الآفاق ، ليس له لغة خاصة به ، بل يستخدم كلمات مسروقة سمعها أثناء تجسسه علينا في أعالي الأشجار ، ولا يحيا مثل حياتنا ، وليس له زعيم ولا ذاكرة ، ويظن نفسه

أنه شعب قادر على عظائم الأمور في الأدغال ، ولكن سقوط جوزةٍ على الأرض تغيّر تفكيره .. نحن لا نشرب مما يشرب القرود ، ولا نذهب حيث يذهبون ، ولا ندفن موتانا حيث يدفنون ، فهل سمعتني قبل اليوم أتحدث عن شعب القرود ؟

فقال ماوغلي هامساً :

– لا ..

– لقد لعنهم شعب الأدغال بلسانه وقلبه ، فهم أشرار قذرون أنذال ، لا هم لهم سوى جذب انتباه شعب الأدغال إليهم ، ولكننا لا نهتم بهم حتى عندما يقذفوننا بالجوز والأوساخ .

ما كاد بالو يكمل جملته حتى انهمرت عليه حبات الجوز والأغصان اليابسة ، وعلى قمم الأشجار تصاعدت أصوات الهزء والسخرية .

قال بالو :

- إن شعب القرود لا حق له ، حتى حق الاختلاط بشعب الأدغال محرم عليه ، تذكّر هذا .

وكررت باغيرا وراءه :

- لا يحق له الاختلاط بشعب الأدغال ، وكان من واجب بالو أن يحذرك منهم .

فقال بالو :

- وكيف أعرف أنه سيلهو مع هذه المخلوقات الحقيرة .. شعب القرود !

وانهمرت عليهم حبات الجوز والأغصان من جديد ، فغادروا المكان .

الفصل الرابع



إن كل ما قاله بالو عن القرود ينطبق عليهم تماماً ، فالقرود يسكنون أعالي الأشجار ، وبما أن الدواب لا يرفعون رؤوسهم إلا نادراً فلا فرصة للقاء القرود بشعب الأدغال ، ولكنهم إذا وجدوا ذئباً مريضاً أو نمراً أو دباً جريحاً يتلذذون بتعذيبه ، وهم يرمون الجوز والأغصان على كل أنواع الحيوانات لعلهم يجذبون انتباهه إليهم .

وقد يرفعون أصواتهم بأغاني لا معنى لها ، ويتحدّون شعب الأدغال أنْ يصعدوا إليهم ويتشاجروا معهم ، ويتركون موتاهم على مرأى من شعب الأدغال ، وقد يعزمون على أن يكون لهم زعيم أو قانون أو أعراف ولكنهم لا ينفذون ، لأن ما قرروه بالأمس ينسونه غداً لضعف ذاكرتهم ، لذلك اعتادوا ترداد هذه العبارة : " إن ما تفكر به القرود اليوم يفكر به شعب الأدغال غداً " .

ويرضون بذلك غرورهم ، فلا يستطيع أي حيوان أن ينال منهم ، ومن ثم لا أحد يهتم بهم ، لذلك كانوا مبتهجين لزيارة ماوغلي ، وكان بالو شديد الغضب منه ، وهم لا يطمحون إلى أكثر من ذلك ، وليس في نيتهم أن يكون لهم مطامح .

ولكن خطرت لأحد القرود فكرة ظنها عبقرية ، وهي أن يشيع بين القرود أن ماوغلي مفيد للقبيلة كلها ، لأنه قادر على أن يجدل الأغصان ويصنع لهم أكواخاً تحميهم من الرياح .

فإذا أمسكوا به أجبروه على تعليمهم صناعة الأكواخ ، ولأنّ ماوغلي ابن أحد الحطابين فقد ورث الكثير من المواهب ، وهو يتسلى أحياناً بصنع أكواخ صغيرة من الأغصان اليابسة .

وكان شعب القرود يتفرج عليه مبهوراً .

قال بعضهم لبعض :

– لقد حان الوقت ليكون لنا زعيم ، ونصبح أرقى شعوب الأدغال ، بحيث يهتمون بنا ويتمنون لو كانوا مثلنا .

لاَحَق القرود بالو وباغيرا وماوغلي عبر الأدغال حتى حانت ساعة القيلولة .

كان ماوغلي يحس بالندم ، وحين غلبه النعاس نام بين الفهدة والدب وقد عزم أن ينسى القرود .

حين انتبه من نومه أحس على يديه وقدميه قبضات صلبة صغيرة وقوية ، ثم أغصاناً تلطم وجهه ، وإذا هو في أعالي الأشجار .

على حين أيقظ بالو الغابة كلها بصرخاته المدوية ونهضت باغيرا وقد أبرزت براثنها .

كانت القرود تصرخ وهي تصعد إلى الأشجار العالية ، فكفت الباغيرا عن ملاحقتها ، وهتفت القرود معاً :

– لقد لمحونا ، والباغيرا رأتنا ، وشعب الأدغال كله معجب بنا .

ثم انطلقوا إلى بلاد الأشجار .

هذه الرحلة شيء لا يوصف ، إذ أن لهم شبكة من الطرقات يتبعونها على ارتفاع خمسين أو ستين متراً من سطح الأرض ، وهم قادرون على السير فيها حتى في ظلام الليل .

أمسك قردان قويان ماوغلي من إبطيه وانطلقا به من قمة إلى قمة بقفزة طولها خمسون متراً ، ولو كانا وحدهما لانطلقا بسرعة أكثر ولكن أعاقهما ثقل (ماوغلي) ، وعلى الرغم من أن ماوغلي كان يحس بالغثيان والدوار إلاّ أنه مستمتع بهذه المطاردة المجنونة ، وقد تجمد من الخوف لرؤية الأرض من ذلك الارتفاع .

وصل به القردان إلى قمة شجرة ، ووقفا على أحد أغصانها ، فلم يتحمل ثقل ثلاثتهم فانقصف بهم ، أما القردان فقد أمسكا بغصن آخر وتعلقا به بالذنب والأطراف ، وأما

ماوغلي فقد هوى من الأعلى والأغصان تخمش وجهه وهو يسقط وكأنه بحار سقط من أعلى السفينة إلى الماء ، وما كاد يصل إلى الأرض حتى سارع القرود إلى نجدته ، وأمسكته قبل أن يرتطم بها . وسار شعب القرود فخوراً بأسيره ، ولم يكونوا في الواقع يسيرون بل يتقافزون به فوق الأغصان ، وكان ماوغلي يخشى أن يسقط من أيديهم ، وقد بلغ به الغضب أقصاه ، ثم عزم على ألا يقاومهم ، وبدأ يفكر بخطة للخلاص منهم .

كان أول شيء يجب أن يفعله هو الاتصال بالفهدة والدب ، ولا فائدة من النظر إلى أسفل فلن يرى سوى أوراق الأشجار .

رفع رأسه إلى أعلى فرأى النسر (شيل) يحوم في السماء باحثاً عن فريسة له ، ولاحظ (شيل) أن القرود تحمل

شيئاً ، فهبط بضع مئات من الأمتار ليرى إن كان ما يحملونه يصلح طعاماً له .

صفر النسر مذهولاً وهو يرى ماوغلي يرتفع من قمة شجرة إلى سواها ، وسمعه يصرخ نداء النسور :

– نحن من نفسٍ الدم أنا وأنت .

ثم اختفى بين الأشجار المتشابكة ، فلاحقه شيل وسبقه إلى إحدى الأشجار ، وكان قد وقف ذو الوجه الأسمر فوقها وصرخ ماوغلي :

– تذكر هذا المسار الذي أسلكه ، ثم اتصل بالدب بالو وقبيلة الذئاب والباغيرا من مجلس الصخرة .

– ومن صاحب الرسالة يا أخي ؟

وكان شيل قد سمع ماوغلي ولكنه لم يره بعد ، فقال له ماوغلي :

– من طرف ماوغلي الضفدع ، الإنسان الصغير كما ينادونني ، احفظ هذا المسار .

وسرعان ما أمسك به القردان وانطلقا في الفضاء .

أما شيل فقد هزّ رأسه وحلق في السماء بعيداً ، ووقف يراقب حركة ذرى الأشجار كي يحفظ مسار ماوغلي ومرافقيه .

قال النسر لنفسه : " لقد ذهبوا بعيداً ، القرود لا تمضي إلى متابعة مشروعها وهم مولعون بالتجديد ، ولكن إذا صح ظني فإنهم جلبوا إلى أنفسهم المتاعب هذه المرة ، لأن بالو ليس غِرًّا جاهلاً وباغيرا شديدة البطش " .

أثناء ذلك كان صواب (بالو) وباغيرا قد طاش من الغضب والهياج .

أما باغيرا فكانت تصعد إلى أعالي الأشجار حتى تتكسر الأغصان تحت ثقلها ، فتسقط على الأرض وقد تجرّحت قوائمها .

وصرخت بالدب (بالو) الذي جرى بكل سرعته لعله يمسك بهؤلاء القرود .

– لماذا لم تحذّر الإنسان الصغير ؟ لقد كدت تقتله ضرباً ، لكنك لم تحذره من الخطر الذي يتهدده .

ويزفر الدب عالياً :

– أسرعي ، أسرعي ، قد نتمكن من اللحاق بهم .

فقالت له :

– أي سرعة ؟ إن البقرة المذبوحة قادرة على الجري أسرع منك أيها الفقيه القانوني ، يا معذب الأطفال توقف وفكر ! لن تمشي أكثر من كيلومتر بهذه الجثة الثقيلة ، توقف

وفكر ! ارسم خطة ، لا فائدة من المطاردة ، وإذا أحرجناهم فقد يتركونه يسقط من أعالي الأشجار .

– آه .. آه .. لعلهم رموه من أعالي الأشجار بعد أن أعياهم حمله ، فمن يثق بهؤلاء القرود ؟ إنني أغبى دب بين الدببة ، أستحق أن يغطى رأسي بالوطاويط الميتة ، وأن آكل العظام المحروقة ، وأن يلدغني النحل البري حتى أموت ، وأن أدفن مع الضباع ، أين أنت يا ماوغلي ؟ أما كان الأجدر بي أن أحذرك من شعب القرود بدل ضربك ؟ وأظن أن ضرباتي قد أطارت الدروس من رأسه ، وسيبقى وحيداً أعزل في الأدغال محروماً من الكلمات الرئيسية .

أمسك بالو رأسه بين يديه وجعل يتقلب يميناً ويساراً وهو يزأر حزناً .

قالت باغيرا وقد نفد صبرها :

– لقد استظهر لي ماوغلي كل هذه الكلمات ، قليلاً من اللياقة ، (بالو) ماذا سيقول شعب الأدغال إذا رأوني أنا الفهدة السوداء أتدحرج في الطين مثل الخنـــزير ؟

– لا يهمني ما يقوله شعب الأدغال ، لعلهم قتلوه الآن ..

– لعلهم تركوه بعد أن سئموا من اللعب معه ، وأنا لا أخاف على الإنسان الصغير لأنه ماكر متعلم ، وزد على ذلك أن له نظرة حادة تخيف شعب الأدغال ، ولكنه الآن في قبضة القرود وهم يعيشون في أعالي الأشجار ولا يخافون أحداً منا .

وجعلت الباغيرا تلعق براثنها وهي تفكر .

قال الدب وهو يهتز حزناً :

– ما أنا إلا غبي أحمق لا أصلح لشيء سوى التهام الجذور ، ولقد صدق الفيل (هاثي) إذ قال : " لكل امرىء شيء يخشاه " وإن ما تخشاه القرود هو (كاع) ثعبان الصخور ، وهو يتسلق الأشجار مثلهم ، وفي الليل يسرق صغار القرود ، وإذا ذكر اسمه أمامهم تجمدوا من الخوف حتى أقصى ذيولهم ، هيا لنبحث عن (كاع) .

قالت الباغيرا :

– وما عساه يفيدنا ولا صلة له بنا ، ولا مخالب له وبَصَرُه ضعيف ؟

قال (بالو) وقد عاد إليه الأمل :

– إنه هرم شديد الدهاء ، وهو جائع على الدوام ، فلنَعِدْه بكثير من الماعز .

– وحين يشبع فإنه ينام شهراً كاملاً ولعله نائم الآن ، وإذا كان يقظان فقد يفضل أن يقتل هذه الماعز بنفسه .

لم تكن باغيرا تعرف الشيء الكثير عن (كاع) فاحتاطت منه .

قالت :

– إذا تحدثنا إليه حديث الصيادين المحترفين فقد نتوصل إلى اتفاق .

هناك حكّ (بالو) كتفه الأسمر بالفهدة السوداء ، وانطلق الاثنان للبحث عن (كاع) ثعبان الصخور .

وعثرا عليه مستلقياً بطوله تحت أشعة الشمس وهو يتأمل بإعجاب جلده الجديد ، وها هو قد عاد في حلة زاهية ، فأسند رأسه المسطّح إلى الأرض ، وجعل الأمتار

العشرة من طوله على شكل عقدة متشابكة وهو يلعق شفتيه حالماً بالوجبة القادمة .

أطلق بالو زفرة ارتياح وهو يرى إهابه المرمريَّ المرصع بالأسمر والأصفر وقال :

– إنه لم يأكل بعد ، واحذري يا باغيرا فإنه سيئ المزاج حين ينهض من سباته ، وسرعان ما يندفع إلى الهجوم .

لم يكن (كاع) ثعباناً ساماً ، وهو يحتقر الثعابين السامة إذ يجدها جبانة ، والقوة الحقيقية تكمن في العضلات ، فهو إن أمسك فريسته بين فقراته الضخمة فلا نجاة لها من الموت .

هتف بالو وهو يجلس على مؤخرته :

– صيد وفير !

وكان (كاع) ثقيل السمع مثل كل الثعابين من فصيلته .

لم يسمع صوت بالو بادىء الأمر ، فوقف على شكل حلزوني ورأسه قريب من الأرض مستعد للهجوم ، ثم رأى بالو فقال :

– آه .. بالو ماذا تفعل هنا ؟ صيد وفير لك أيضاً يا باغيرا . إن واحداً منا يقرصه الجوع حتماً ، فهل رأيتما طرائد في المنطقة .

فأجاب بالو دون اهتمام :

– نحن في طريقنا إلى الصيد .

وكان يعرف أنه لا يجب استعجال (كاع) فهو ثقيل الحركة .

قال (كاع) :

– اسمحا لي بمرافقتكما وأنال نصيبي معكما ، لأنكما تحصلان على صيد سهل ، وأما أنا فإني أمضي الأيام الطويلة

أتربص في الغابة أو ألتف كل الليل على جذع شجرة أملاً في اقتناص قرد صغير ، ولم تعد الأمور كما كانت في السابق .. حسرتي على أيام زمان ..

قال بالو :

– لعل هذا يرجع إلى وزنك الثقيل .

قال (كاع) مفتخراً :

– صحيح أنني ممشوق القوام ، ولكن السبب يعود إلى هذه الأشجار النحيلة التي لم تعد تحتمل ثعباناً مثل حجمي ، في آخر صيد لي كدت أسقط من أعلى الشجرة وقد تنبه القرود ، فهربوا وهم يشتمونني .

قالت باغيرا :

– سمعت أنهم شبهوك بالدودة الصفراء الزاحفة .

قال كاع :

– هل قالوا هذا عني ؟

– قالوا هذا وأكثر منه ، ولكننا لم نعرهم انتباهاً ، وهم كما تعلم يحبون الثرثرة ، من ذلك أنك قد فقدت كل أنيابك ، وأنك لم تعد تجرؤ على مهاجمة حيوان أكبر من الجدي لأنك تخاف من قرون التيوس .

صحيح أن الثعبان رزين حكيم ، يعرف كيف يكتم غيظه ، ولكنهما لاحظا أن عضلة حلقه بدأت ترتعد غضباً ، تلك العضلة التي يبتلع بها فرائسه ، فقال هادئاً :

– لقد بدل شعب القرود إقليمهم ، وحين خرجت إلى أشعة الشمس هذا اليوم سمعتهم يصرخون في أعالي الأشجار .

قال بالو :

– نحن نطارد الآن هذه القرود .

واختنقت الكلمات في حلقه لأنه لا أحد اهتم حتى الآن بشعب القرود . فسأل (كاع) والفضول بادٍ عليه :

– هل القضية خطيرة إلى هذا الحد حتى يطارد شعب القرود صيادان مثلكما ، كلٌّ منهما زعيم في فصيلته ؟

قال بالو :

– ما أنا سوى فقيه في القانون هرم يستشيرني شعب الذئاب من حين إلى آخر ، وهذه باغيرا ..

لم تكن الفهدة السوداء تحب التواضع فحسمت الموضوع بقولها :

– القضية كما يلي يا كاع : إن هؤلاء القردة لصوص الجوز لاقطي النّوى قد خطفوا الإنسان الصغير الذي سمعت به .

– لقد وصلتني الأخبار عن هذا المخلوق الإنساني الذي تبنته عشيرة الذئاب ، ولكن خشيت أن تكون إشاعة لا أساس لها من الصحة .

قال بالو :

– بل هي الحقيقة ، وهو فتى متميز ، الأفضل والأذكى والأشجع بين أبناء جنسه ، وهو تلميذي الذي سيجعل اسم بالو مشهوراً في الأدغال كلها ، ونحن نحبه أيضاً .

هزّ كاع رأسه وقال :

– لا حول ولا قوة ، وأنا أيضاً أعرف معنى الحب ، وأستطيع أن أروي لكما الحكايات عن الحب ..

فتدخلت الباغيرا قائلة :

– ولكن ، هل يطيب لنا السمر في ضوء القمر وبطوننا خاوية ؟ والإنسان الصغير بين أيدي القرود الآن ، ونحن نعلم

أن عدوهم الوحيد الذي يخافونه من بين شعوب الأدغال كلها هو كاع ؟

قال كاع :

– ولا يخافون أحداً سواي ، القرود ثرثارون مغرورون سخفاء ، ولكن إذا سقط ابن الإنسان بين أيديهم فتلك قضية سيئة ، إنهم لا يسأمون من التقاط الجوز ورميه ، وهم يتأرجحون على الغصن نصف يوم وكأنهم يفعلون شيئاً هاماً ، ولكنهم يكسرونه أخيراً ويمضون ، لقد أوقعه سوء حظه بين أيديهم ، وما اللقب الآخر الذي أطلقوه عليّ ؟ سمكة صفراء ؟

قالت الباغيرا :

– دو .. دو .. دودة الأرض ، وهناك ألقاب أخرى لا أجرؤ على النطق بها أمامك .

- سنعلمهم نحن الاحترام الواجب عليهم تجاه سادتهم ، وسوف نذكّرهم إذا نسوا ، وأي اتجاه سلكوا مع الصغير ؟

- لا أحد يعلم ، اتجاه الغرب كما أظن ، كنا نحسب أنك تعرف اتجاههم يا كاع !

- أنا ؟ وكيف أعرف ؟ إني أصطادهم إذا وقعوا في طريقي ، فأنا لا أطارد القرود ولا الضفادع ولا سواها من هذه المخلوقات .

وتردد صوت :

- إلى الأعلى ، إلى الأعلى ، هيا انظر إلى الأعلى يا بالو .

ورفع بالو رأسه ليرى مصدر الصوت ، فماذا رأى ؟ النسر شيل وقد هبط هبوطاً رائعاً وجناحاه يلمعان تحت أشعة

الشمس ، لقد حان وقت رقاده ، ولكنه جاب الغابة كلها بحثاً عن الدب الذي كانت الأشجار الكثيفة تحجبه عنه .

قال بالو :

– ماذا هناك ؟

– لقد رأيت ماوغلي بين شعب القرود ، وطلب مني أن أخبركم ، وقد راقبتهم وهم الآن وراء النهر في مدينة القرود ، ولا أدري كم من الوقت سيبقون هناك ، وقد طلبت من الوطاويط أن تراقبهم إذا حلّ الظلام ، هذا كل ما عندي ، صيد وفير لكم لمن أنتم في الأسفل .

وصرخت باغيرا :

– ملأ الله حوصلتك ، وطابت نومتك يا شيل ، سأذكرك في صيدي المقبل ، ولسوف أحتفظ برأس الفريسة لك يا أفضل النسور !

منسية في الأدغال ، ونادراً ما تذهب الحيوانات إلى مكان مأهول بالإنسان ، فالحيوان الذي يحترم نفسه لا يدنو من هذا المكان إلا في فترات الجفاف ، لأن الخزانات والصهاريج المحطمة في تلك المدينة تحتفظ ببعض المياه .

قالت الباغيرا :

– إنها على مسافة نصف ليلة من هنا شرط أن نحثّ الخطا .

وظهر القلق على الدب :

– سأجري قدر ما أستطيع .

– لا نستطيع انتظارك يا بالو وسوف تؤخرنا ، ولكن اتبعنا ، أنا وكاع سنمضي بأقصى سرعة .

فقال كاع بجفاء :

– ليس لي أقدام ، ولكني سريع في الترحال .

بذل بالو جهده لملاحقتهم ، ولكنه سرعان ما جلس وقد انقطع نفسه ، فتركهما لينضم إليهما بعد ذلك .

انطلقت الباغيرا بأقصى سرعة ممكنة تملكها الفهود ، ولم ينطق كاع بحرف واحد ، ولكنه ظل على مستواها في السرعة ، واعترض طريقهم سيل منحدر من الجبل ، فقطعته الفهدة بقفزة واحدة واضطر الثعبان إلى السباحة فيه ورأسه ونصف متر من عنقه خارج الماء ، لكنه استدرك التأخير على اليابسة .

قالت باغيرا :

– ما أسرعك !

قال كاع :

– إني جائع ، وقد لقبوني بالضفدع المرقط ، هؤلاء القرود ! ..

– بل لقبوك بدودة الأرض الصفراء أيضاً !

– كله سواء ، فلنمضِ ! أريد أن أقتصّ منهم بأسرع وقت .

كان الثعبان كاع لا يسير على الأرض ، بل يسيل عليها ، وعيناه الجامدتان خبيرتان بأقصر السبل ولا تخطئانها .

الفصل الخامس



لم يكن شعب القرود ليفكر بأصدقاء ماوغلي ، وقد ساقوا الطفل إلى المدينة الضائعة ، وهم الآن مزهوون بانتصارهم .

أما ماوغلي الذي لم ير في حياته مدينة هندية ، فقد وجدها مذهلة رائعة على الرغم من أنها أطلال ، وهي مدينة

بناها أحد الملوك على هضبة صغيرة ، ولا تزال آثار الطرق المعبدة ظاهرة فيها .

وأبوابها المحفورة قد نخرتها الرطوبة ، ونبتت الأشجار في الجدران ، وتسلقت النباتات على الأبراج ، وتحطمت النوافذ .

كان قصراً كبيراً بلا سقف يتوج الهضبة ، وقد تكسر رخام الباحات والنوافير ، واصطبغت بالأحمر أو الأخضر ، وأما الساحات المخصصة للفيلة الملكية فقد نبت العشب بين حجارتها .

وحين تنظر من القصر إلى البيوت المتراصة المكشوفة يخيل إليك أنها صفوف من خلايا النحل الفارغة وقد ملأها الظلام ، وترى بقية تمثال حجري هنا وصنماً قديماً على

مفترق الطرق هناك ، وحفراً واسعة أو صهاريج كانت آباراً يشرب منها الناس .

وفي البعيد قباب المعبد المتهدمة وتصاوير وحوش تبرز من الجدران ، ويدعو القرود هذا المكان مدينتهم ، ويحتقرون شعب الأدغال لأنهم يعيشون في الغابة ، ولكنهم جاهلون تماماً بفائدة هذه الصروح وكيفية استعمالها .

فكانوا يجلسون في مجلس القصر الملكي يُفلّون براغيثهم ويتظاهرون بأنهم من بني البشر ، وقد يتجولون عبر الخرائب ، فيجمعون حطام القرميد في زاوية من المكان ، وسرعان ما ينسونها ، وقد ينشب الخصام بينهم وترتفع أصواتهم ، وبعد قليل يعودون إلى ألعابهم عبر الحدائق الملكية ، هنالك يهزون أشجار الورد أو البرتقال لتتساقط عليهم الفواكه والأزهار ، وكانوا يطوفون في مئات من غرف

القصر وممراها الأرضية ، ولا يذكرون في الغد ماذا رأوا البارحة ، ويسرحون زرافات ووحداناً ، ويزعمون أنهم يقلدون بني البشر ، وإذا عطشوا حركوا مياه الصهاريج وعكّروها ثم يتقاتلون من أجلها ، وينطلقون بعدئذٍ قائلين :

– لا أحد في الأدغال أحكم ولا أطيب ولا أذكى ولا أقوى ولا ألطف من شعب القرود .

فإذا سئموا هذه الحركات خرجوا من المدينة إلى الأدغال ، وارتقوا أعالي الأشجار آملين أن يلتفت شعب الأدغال إليهم .

وأما ماوغلي الذي نشأ على قانون الأدغال فلم يكن يحب ولا يفهم هذا النوع من الحياة .

وكان القرود قد وصلوا بعد الظهر إلى المدينة ومعهم حملهم الثمين ، وبدلاً من أن ينصرفوا إلى النوم كما كان يودّ

ماوغلي بعد رحلة طويلة مرهقة ، فقد شبكوا أيديهم وجعلوا يرقصون في حلقة ويغنون أغاني لا رأس لها ولا ذنب .

ثم نهض أحدهم خطيباً ، فبين لأصحابه أن أسْرَ ماوغلي يعد منعطفاً في تاريخ القرود ، لأن ماوغلي سيعلمهم كيف يجدلون الأغصان والقضبان لكي يصنعوا أكواخاً تحميهم من المطر والبرد .

بدأ ماوغلي يجمع بعض الأربطة ، ولكنه لمح بعض القرود تراقبه فرماها ، ومضت القرود إلى لعبها ، فكان بعضها يجذب ذيولَ البعض وتتقافز في كل اتجاه وهي تسعل .

قال ماوغلي :

– إني جائع ولا أعرف هذا الجزء من الغابة ، فائتوني بالطعام أو اتركوني أصيد .

فانطلق عشرون أو ثلاثون قرداً في كل اتجاه يجمعون الجوز ، ولكنهم تقاتلوا فيما بينهم بحيث لم يستطيعوا العودة حاملين ما جمعوه من جوز .

مضى ماوغلي في أنحاء المدينة جائعاً وهو يطلق صرخة صيد الغريب ، ولم يجاوبه أحد ، فظن أنه قد سقط في مكان وخيم ، وفكر في نفسه : " إن كل ما قاله بالو عن القرود صحيح ، فليس لديهم قانون ولا صرخة صيد ولا زعماء ، وليس لديهم سوى بضع ألفاظ لا معنى لها ، وأيد صغيرة ماهرة في السرقة ، ولئن مت من الجوع هنا أو قتلت فذلك خطئي ، ولكن لابد لي من العودة إلى الأدغال ، ولسوف يعاقبني بالو بالضرب حتماً ، ولكني أفضل هذا على الجري وراء شعب القرود من أجل جوزة آكلها " .

ما إن وصل إلى أسوار المدينة حتى اعترضته القرود وأجبروه على الرجوع ، فلم يقاومها وتوجه إلى تلك الساحة الفسيحة في وسط القصر ، وبدأ يتجول بين أطلاله ، وأعجبته تلك الأعمدة الرخامية المزينة بصور الوحوش ، وأبواب النوافذ المصنوعة من الأحجار الكريمة كالياقوت والزمرد والمرجان وكأنها مطرزة بيد خبيرة ماهرة ، وفي وسط تلك الساحة درجات رخامية بيضاء تؤدي إلى قاعة داخلية كانت تسكنها الأميرة منذ مائة عام أو تزيد .

وحينما يصبح القمر بدراً ويرمي بشعاعه إلى هذه الساحات تنعكس هذه الألوان على المرمر الأبيض فترى منظراً بديعاً يبهر العقول .

على الرغم مما يقاسيه ماوغلي من شدة الجوع فإنه لم يستطع مغالبة ضحكه حينما رأى جماعة من القرود تفاخر

بنفسها وتعتز بمزاياها ، وتتهمه بالجنون لأنه يريد أن يغادرها ، وكانوا يصرخون أمامه وهم يتقافزون :

– نحن شعب عظيم من الأحرار المتفوقين ، وأروع من سكن الأدغال ، ونريد منك أن ترى بعينيك عظمة مجدنا ، وتنقل إلى شعب الأدغال فضائلنا لعلهم يهمتون بنا .

ولم يبد ماوغلي اعتراضاً ، واجتمع القرود في الساحات ليسمعوا إلى خطيبهم يشيد بميزات القرود .

وما إن يتوقف ليلتقط أنفاسه حتى تتعالى الهتافات قائلة :

– أحسنت ، نحن كذلك وأكثر .

وإذا سألوا ماوغلي رأيه في هذه الخطبة هزّ رأسه عجباً ، وهم يظنونه يهزّه استحساناً ، وقال في نفسه : " لا شك أن ابن آوى (تباكي) قد عضّهم ، فأصيبوا جميعاً بالسُّعار ، ولا تفسير لهياجهم سوى السُّعار ، أفلا ينامون أبداً ؟ آه .. هذه

غيمة سوداء حجبت ضوء القمر ، ولو كانت كبيرة لهربتُ في الظلام .. لقد تعبت .. " .

هذه الغيمة نفسها كان يراقبها اثنان من أصدقائه ، وقد اختبأا تحت سور المدينة ، هما الباغيرا وكاع اللذان أدركا الخطر من مهاجمة الجموع الغفيرة من القرود ، فالقرود لا تهاجم إلا مائة ضد واحد ، وهذه معركة لا يدخلها إلا من كان بالحرب خبيراً .

همس كاع :

– سوف أهجم من ناحية الغرب وأستغل انحدار الأرض لأصل إليهم بأقصى سرعة ، وإن هجموا علي جميعاً ..

قالت باغيرا :

– أعرف خطر هذا الهجوم ، وكم كنت أتمنى لو أن بالو وصل الآن ، ولكن علينا أن نفعل ما بوسعنا ، وحين تغطي

هذه الغيمة القمر سأقفز إلى الساحة ، فقد عقدوا فيها مجلساً لمناقشة مصير الطفل .

قال كاع :

– صيد موفق .

وانزلق نحو السور الغربي الذي كان أقلها تهدماً ، فأضاع بعض الوقت بحثاً عن مكان يتسرب منه ، وحين غطت السحابة القمر تساءل ماوغلي عما يجب أن يفعله ، ولكنه سمع خطوات الباغيرا في الساحة ولم يشعر بها أحد .

لم تضيع الباغيرا وقتها ، فاندفعت وسط جموع القرود تضرب يمنة ويسرة وهي تتعثر بالأجساد المبعثرة ، ثم سمعت هديراً وهياجاً وارتفع صوت يقول :

– لا توجد سوى فهدة وحيدة ، اقتلوها .. اقتلوها ..

فانطبقت على الباغيرا كتلة هائلة من القرود تنهش وتخمش ، وهجم أثناء ذلك القرود على ماوغلي وحملوه إلى أعلى الصرح ثم رموه في فتحة متهدمة في القبة ، ولو كان طفلاً نشأ بين الناس لانكسرت ضلوعه لسقوطه من ارتفاع خمسة أمتار ، ولكن ماوغلي سقط كما علمه بالو على قدميه .

وصرخ به القرود :

– لا تتحرك من هنا ، سنقتل أصحابك أولاً ثم نأتي لنلهو معك ، هذا إذا تركك شعب الحيّات السامة تعيش .

فبادر ماوغلي إلى مناداة الأفاعي :

– نحن وأنتم من دم واحد .

وسمع فحيحاً وصفيراً في الخرائب المحيطة به ، فأطلق النداء ثانية زيادة في الاحتياط ، فردت عليه عشرات

الأصوات ، وذلك لأن الأفاعي تلجأ إلى خرائب القصور في الهند ، وسمعها تقول :

– لا تتحرك أيها الأخ الصغير ، فقد تدوسنا قدماك .

فلم يتحرك ماوغلي من مكانه ، ونظر من فتحات القرميد فرأى معركة حامية الوطيس بين القرود والفهدة السوداء ، وكانت الفهدة تلطم بيدها وتهبش بمخالبها ، وتفاجىء القرود بقفزات لا يستطيعونها وتفرق جموعهم ، ولأول مرة في حياتها تناضل الباغيرا لتنقذ نفسها .

وفكر ماوغلي : " لا ريب أن بالو قريب من هنا ، فالباغيرات لا تأتي وحدها "

وصرخ بأعلى صوته :

– إلى خزان الماء ، أسرعي إلى الماء واغطسي فيه .

وسمعت باغيرا صرخته ، فزادها قوة إذ عرفت أنه ما يزال على قيد الحياة ، فكانت تشق طريقها خطوة خطوة وتقاتل قتال اليائس من الحياة ، وفجأة انطلقت من وراء الخرائب صرخة هائلة أطلقها (بالو) ، لقد وصل متأخراً بالرغم من كل جهوده .

وهتفت له الباغيرا :

– أنا هنا ، وأنا قادمة إليكم أيها الأنذال .

ورمت بنفسها بين جموع القرود وأقعت على قائمتيها الخلفيتين ورفعت مخالبها الأمامية وهي توجه ضربات قاتلة إلى أعدائها ، وكأنها آلة توزع عليهم الضربات بالتساوي ، ثم رمت نفسها داخل خزان الماء .

سمع ماوغلي صوت ارتطام جسدها بالماء ، فأدرك أنه قد كتبت لها النجاة ، فالقرود لا يستطيعون اللحاق بها ،

وغاصت حتى رقبتها وهي تتنفس بصعوبة ، على حين وقف عدد من القرود يسدّون عليها الطريق إذا فكرت بالخروج لمدّ يد المساعدة إلى بالو .

وأحست باغيرا باليأس ، فأطلقت إلى الأفاعي نداء الاستغاثة :

– نحن وإياكم من دم واحد .

وذلك لأن الباغيرا كانت متأكدة من أن (كاع) قد لف ذيله على رقبته في آخر لحظة ، واتخذ طريق الفرار ، وبالو مشغول بهذه الجموع المحيطة به من كل جانب منتظراً أن تمد له الباغيرا يد المساعدة .

الآن وصل (كاع) ووقف على السور الغربي .

فانهارت تحت ثقله عدة أحجار من السور وتدحرجت إلى الخندق ، وأراد أن يستفيد من الموقع الذي اتخذه في أرض

المعركة ، فلف جسده ثم بسطه مرتين أو ثلاثاً فوجده على أحسن حال .

وكانت المعركة ما تزال على أشدها بين بالو والقرود ، وباغيرا تزأر في الخزان ، وكان الوطواط (مانغ) يطير هنا وهناك في أنحاء الغابة ناقلاً أنباء المعركة الكبرى ، بحيث إن الفيل (هاثي) رفع صوته بالصراخ ، ونبّه صراخه المترامي جماعات من القرود المتفرقة في الغابة ، فسارعوا إلى نجدة إخوتهم .

وأيقظت أصوات القتال طيور الغابة على مسافة عدة كيلومترات .

هناك برز الثعبان (كاع) متعطشاً للقتال ، وكانت قوته تكمن في الضربات التي يسددها بلسانه فيرميه ويتبعه بثقل جسمه كله .

فلو تصورتم رمحاً أو مطرقة فولاذية وزنها نصف طن تمسك بمقبضها عزيمة فولاذية لكانت تلك صورة كاع أثناء القتال .

والثعبان الذي يبلغ طوله متراً يمكنه بضربة من ذيله أن يطرح رجلاً على الأرض ، فما بالك بالثعبان كاع وطوله عشرة أمتار ؟

وكانت أول ضربة منه في وسط الجموع المتكالبة على بالو ، وحقق هدفه بصمت ، ولم يعلن عن نفسه ولم يكرر ضربته ، فقد دبّ الذعر بين القرود ، فتفرقت هاربة وهي تصيح :

– كاع .. إنه كاع .. اهربوا ..

منذ أجيال والقرود تفزع من الحكايات التي يرويها الأجداد عن الثعبان كاع ، فهو الذي يتسرب على الأغصان بصمت ويمسك بالقرد وإن كان أذكى بني جنسه ويقتله .

إنه كاع القادر على التنكر بزي شجرة ميتة أو جذع منخور ، بحيث يخدع أمكر القرود ويمسك به حين يريد ، لقد كان كاع إذاً الرعب المتجسد في شكل ثعبان ، ولا قدرة لأحدهم على مواجهته أو النظر إلى وجهه .

كانت القرود تهرب مرعوبة إلى الجدران وأسطحة البيوت .

وتنفس بالو بارتياح ، فعلى الرغم من ثخن جلده وكثرة فروه فقد تأثر بجراحه .

وفتح كاع فمه لأول مرة في هذه المعركة وأصدر فحيحاً طويلاً ، فتوقفت القرود عن الهجوم وقد شلّها الرعب ،

وتكاثفت القرود على الأغصان حتى تكسرت من ثقلها ، وسكنت القرود الواقفة على الأسوار والبيوت المهاجرة .

وخيم الصمت على المدينة ، حتى لقد سمع ماوغلي صوت الباغيرا وهي تنفض عنها الماء بعد أن خرجت من الخزان .

واستؤنف القتال . فلجأت القرود إلى التماثيل الحجرية فتعلقت بها وهي تصدر أصواتاً عالية ، وكان ماوغلي يرقص في سجنه وقد ألصق عينيه بفتحة من الجدار الرخامي ، وبدأ يصفر مقلداً نعيق البوم دلالة على الحقد والكراهية .

قالت الباغيرا بصوت متعب :

- أخرجوا الإنسان الصغير من سجنه ، لقد تعبت ، لنأخذه معنا ونغادر المكان ، فقد يهاجمنا القرود مرة ثانية .

قال كاع :

– لن يتحركوا قبل أن أسمح لهم ، ولا تخافوا فلن يهاجمونا ، واعذريني لأني وصلت متأخراً .

– شكراً على مساعدتك على أي حال ، هل أنت مصاب يا بالو ؟

قال بالو وهو يهزُّ قوائمه الواحدة تلو الأخرى :

– أظنني تمزقت إلى مئات من الدببة الصغيرة ، وجسدي كله يؤلمني آه .. نحن مدينان لك بحياتنا يا (كاع) أنا والباغيرا .

– لا يهم ، أين الفتى الآن ؟

وصرخ ماوغلي :

– هنا في الفخ ، ولا أستطيع الخروج .

وهتفت أفاعي الكوبرا :

– حذار ، فإن القباب ستنهار على أطفالنا ..

فقال كاع وهو يضحك :

– لك أصدقاء في كل مكان أيها الإنسان الصغير !

ثم وجه حديثه إلى بني جنسه :

– يا شعب السموم ، ادخلوا جحوركم وأبعدوا صغاركم لأني سأهدم الجدار .

تفحص كاع الجدار الرخامي فاكتشف فيه شرخاً ، فضربه عدة ضربات صغيرة ثم رفع مقدار مترين من جسمه عن الأرض وجعل يضرب الجدار عدة ضربات برأسه وكأنه مطرقة من الفولاذ ، فانهار الجدار تحت ضرباته ، وارتفعت سحابة من الغبار والتراب .

وقفز ماوغلي ورمى نفسه بين بالو وباغيرا ، وطوّق بذراعيه عنقي صديقيه الوفيين .

قال باولو وهو يحتضنه بحنان :

– هل أنت مجروح ؟

– إني جائع ومتعب ، ولكن ماذا أرى يا إخوتي إن الدم يسيل منكم ؟

قالت الباغيرا وهي تستعرض بنظرها جثث القرود .

– لقد دفعوا الثمن غالياً .

وهمس بالو :

– لا تهتم بجراحنا ما دمت سالماً ، فأنت الذي أفتخر به من بين كل الضفادع الصغيرة .

قالت الباغيرا بلهجة غاضبة لم تعجب ماوغلي :

– سنناقش هذه القضية فيما بعد ، ولكن ها هو كاع الذي ندين له بانتصارنا ، وندين له بحياتنا أيضاً ، اشكره يا ماوغلي حسب تقالدينا .

فالتفت ماوغلي ليرى رأس الثعبان يلمع على بعد سنتمرات من وجهه ، فقال كاع :

– هذا هو الإنسان الصغير إذن ؟ جلده ناعم ، ولكنه لا يختلف كثيراً عن شعب القرود ، وحذار أيها الصغير أن تقف في طريقي ، فأحسبك قرداً وخاصة حين أبدّل جلدي .

قال ماوغلي :

– أنا وإياك من دم واحد ، وأنا مدين لك بحياتي ، ومنذ هذه الليلة إذا عضك الجوع فإن فرائسي هي لك .

قال كاع وعيناه تلمعان :

– ألف شكر لك يا أخي الصغير ، وما عساك تقتل وأنت بهذا الحجم ، ولكن يسعدني أن أراك وأنت تصيد .

– قد أكون صغير الحجم ولكنك سترى أني لا أكذب ، وأنا أمهر من استخدم يديه ، فإذا أطبق عليك فخ فاستنجد

بي لأردّ لك الدَّين الذي طوقت به عنقي ، وشكراً لكم جميعاً يا أساتذتي .

وهمس بالو :

– ما أفصح لسانه !

وكان كاع قد أراح رأسه على كتف ماوغلي ، فرفعه وقال :

– إن شجاعة قلبك وفصاحة لسانك وتوقد ذهنك سترقى بك إلى مكانة عالية في الأدغال ، وأما الآن فغادر هذه المنطقة مع أصدقائك ، اذهب إلى النوم فقد غاب القمر ، وإن ما هو آت لن تسرك رؤيته .

غاب القمر وراء الهضاب ، وجماعات القرود تتدافع بالأكتاف وترتجف خوفاً ، وقد وقفت فوق الأسوار وكأنها كتلة واحدة من شعب مذعور .

ونزل بالو إلى الخزان ليشرب ، وبدأت باغيرا تلعق جلدها ، وانسلّ كاع إلى وسط الساحة ، فأغلق فكيّه بصوت عال ، فاتجهت أنظار القرود جميعاً إليه .

قال كاع :

– لقد غاب القمر فهل ترون حركاتي ؟

فأجابته أصوات القرود وكأنها الريح فوق أعالي الأشجار :

– إننا نراها يا كاع !

– والآن سأؤدي لكم رقصة اسمها " رقصة كاع الجائع " ، ابقوا هادئين وتفرجوا .

رسم الثعبان بحركة جسمه ثلاث دوائر ورأسه إلى أعلى ، ثم تلوى على شكل حلقات حلزونية متداخلة ، وتحول بعدها إلى رسم المربعات والمثلثات ، واستخدم كل

فقرة من فقرات جسده في حركة دائبة لا تهدأ ، ترافقها أغنية من فحيحه الرزين ، وغاب جسده عن الأنظار وإن رسخ فحيحه في الأسماع .

كان بالو وباغيرا جامدين كأنهما تمثال من حجر ، واقشعر شعر جلدهما ، وماوغلي مفتوح العينين من الدهشة ، وصرخ كاع :

– يا شعب القرود .. هل يمكنكم تحريك أيديك أو أرجلكم إلا بأمري ؟ تكلموا ..

– لا يمكننا تحريك أيدينا أو أرجلنا إلا بأمرك يا كاع !

– حسناً ، تعالوا إلى هنا ، تعالوا إليّ واحداً بعد الآخر .

وتقدمت طوابير القرود بخطوات موزونة وحركات هادئة ، وتبعها بالو وباغيرا بخطوات ثقيلة .

همس كاع :

– اقتربوا .. اقتربوا ..

فتحرك الجميع في اتجاهه وكأنهم يمشون في أحلامهم .

وضع ماوغلي يده على كتفي بالو وباغيرا وأبعدهما عن الطابور ، فهزّا رأسيهما كأنما خرجا من كابوس ثقيل .

قالت باغيرا :

– اترك يدك على كتفي وإلا توجهت نحو كاع رغم إرادتي .

قال ماوغلي :

– لقد رسم كاع دوائر في التراب وسحر شعب القرود ، هيا لنغادر المكان .

وانطلق الجميع إلى الأدغال .

قال بالو بعد أن وصل إلى الغابة :

– لن أتحالف مع كاع أبداً . ثم ارتجف من رأسه إلى قدميه ، وقالت باغيرا وهي ترتعد :

– إنه يعرف أشياء كثيرة ، ولو أني بقيت دقيقة أخرى لاتخذت طريقي إلى معدته .

قال بالو :

– كثير سواك يسلكون هذا الطريق الآن ، إنه يصيد على طريقته .

قال ماوغلي :

– ولكنه لماذا يقوم بكل هذه الحركات .

كان ماوغلي يجهل قوة الثعبان السحرية ، ثم أضاف :

– ورأيتم أنفه المكسور ؟

فقالت الباغيرا :

– نعم وأنت السبب في كسره ، وأنت السبب في الجروح التي أصابت أذني وخاصرتي وقوائمي ، والجروح التي مزقت كتف بالو وعنقه ، ولن يطيب لنا الصيد قبل استراحة طويلة ، لقد دفعنا ثمنك غالياً ، فهذه الجروح التي أصابتني قد أصابتني في كبريائي أيضاً ، وتذكر يا ماوغلي أنني أنا الفهدة السوداء قد اضطررت إلى الاستغاثة بالثعبان كاع ، وكيف أنسى رقصة الجوع التي حوّلتنا إلى عصفورين يرتجفان من الخوف ؟

كل هذا لأن الإنسان الصغير كان يلهو مع شعب القرود .

فاعترف ماوغلي بذنبه وقال :

– صدقت فما أنا إلا إنسان شرير ، وأشعر بالتعاسة لذلك .

- اذكر له قانون الأدغال يا بالو !

لم يكن بالو يريد أن يسبب متاعب جديدة لماوغلي ، ولكنه لا يستطيع مخالفة القانون فهمهم :

- الأحزان لا تمحو السيئات ، ولكن لا تنسي يا باغيرا أنه ما يزال صغيراً .

- لا أنسى ، ولكن حان وقت الحساب ، فهل لديك شيء تقوله يا ماوغلي ؟

- لا شيء ، لقد أسأت التصرف وسببت لكما الأذى ، وأنا مستعد لتحمل العقوبة .

وكانت العقوبة اثنتي عشرة ضربة من يد الباغيرا .

لو كانت هذه الضربات تصيب صغارها لكانت ضربات خفيفة لا توقظهم من رقادهم ، وأما بالنسبة إلى طفل مثل

ماوغلي لا يتجاوز سبع سنوات فقد كانت ثقيلة ، وكم تمنى لو أنه لم ينلها .

بعد أن تلقى عقوبته عطس وكأنّ شيئاً لم يكن ، فقالت له الباغيرا :

– اقفز على ظهري يا أخي الصغير ، سنعود إلى البيت ، أتعلم أن الروعة في قانون الأدغال هي " الضربات تمحو السيئات ، ولا تُذكر بعدها أبداً " .

أسند رأسه على ظهر الباغيرا ونام بعمق بحيث لم يستيقظ حتى وصل إلى المغارة ، واتكأ إلى خاصرة الذئبة الأم .

حِكَم بالو

البقع على جلد الفهد هي فخره
وقرون الثور هي عزته
وكلما كان الجلد أكثر لمعاناً
اشتدت شراهة الصياد إليه
إذا رأيت قرون الثور ملساء ناعمة
فاعلم أنها سريعة النفاذ إلى جسدك
لا ترهق صغار الدببة
وسلم عليها سلام الإخوة
لأن الدبة المفترسة أمها
يهتف الغرّ مفتخراً بعد اصطياده
أول فريسة له "هل مِنْ مثلي أحد ؟ "

106

لكنما الأدغال شاسعة والغرّ ضئيل

فليلزم حدوده .

أغنية القرود

شعب القرود دوماً يسود بين الأدغال

وتذيع شهرته بأفضل الأعمال

امشوا صفاً واحداً

وجروا وراءكم الذيول !

فكروا في أسراركم

وحققوا أحلامكم

وإن لم تتحقق فقد عشتم بها زمناً رغداً

وجروا وراءكم الذيول !

تعلموا لغة الذئاب

ولغة الفهود والنمور

وتعلموا لغة البشر

وسيرو صفاً واحداً

سير العظيم المنتصر

وجروا وراءكم الذيول !

ماوغلي فتى الأدغال

يصنع من القش السلال

خذوه إلى مدينتنا

يبقى زعيم عشيرتنا

عشيرتنا التي تسود

وجروا وراءكم الذيول !

الفصل السادس



عاش ماوغلي في الأدغال كما ينبغي لطفل في مثل سنه ، وكان همه الوحيد أن يجد قوت يومه .

وقد حذرته الذئبة الأم مرة أو مرتين من شيرخان ، لأنه قد يقتله في يوم من الأيام ، ولو كان ماوغلي ذؤيباً لما نسي هذا التحذير لحظة واحدة ، ولكن ماوغلي نسيه لأنه إنسان ، وقد سمي كذلك لكثرة النسيان .

وكان يصادف شيرخان في ممرات الأدغال مرات عديدة .

والواقع أن (أكيلا) قد نال منه الهرم وضعفت قواه ، فكان النمر الأعرج يُمتّن علاقاته مع الذئاب الشباب في العشيرة ، وكانوا يتبعونه ليأكلوا ما تبقى من فرائسه ، وهذا أمر ما كان ليسمح به (أكيلا) لو كان قادراً على ممارسة كل سلطاته .

كان شيرخان يحرضهم ويعجب من أن الصيادين المهرة أمثالهم يرضون برئاسة ذئب شبه ميت وإنسان صغير ؟ ويضيف شيرخان :

– وقد حكوا لي أنكم لا تجرؤون على النظر في عينيه أثناء انعقاد المجلس .

فيزمجر الذئاب وينفشون وبرهم .

وقد وصل هذا الكلام إلى باغيرا التي كانت لها عيون في كل مكان ، فحذرت ماوغلي مرة أو مرتين من أن شيرخان قاتله لا محالة .

فأجاب ماوغلي ضاحكاً :

– لدي العشيرة تدافع عني ، وأنت ، وبالو على الرغم من كسله قد يمد لي يد المساعدة فلماذا أخاف ؟

في أحد الأيام الحارة كانت الباغيرا وماوغلي يتسامران ، وحين توغلا في الغابة قالت الباغيرا لماوغلي الذي أسند رأسه إلى جلدها الناعم :

– كم مرة قلت لك يا أخي إن شيرخان عدوك فاحذره ؟

– بعددِ ما في هذه النخلة من تمر ..

وكان لا يعرف الحساب طبعاً ، ثم أضاف :

– إني نعسان ، وليس شيرخان سوى حيوان طويل الذيل مرتفع الزئير مثل الطاووس (ماو) .

– ليس الوقت وقت نوم ، كل العشيرة تعرف هذا ، أنا وبالو نعرفه ، وحتى الأيائل في الجبال تعرفه ، وقد ردده (تباكي) على سمعك .

قال ماوغلي :

– ومن يكون تباكي هذا ؟ لقد جاءني مرة أو مرتين يعيّرني بأني إنسان صغير لا قوة لي حتى على قلع الجذور من الأرض ، فأمسكته من ذيله وطوحت به إلى نخلة عالية حتى يتعلم الحياة .

– هذا سوء تصرف ، إن تباكي يزرع الشقاق حيث يكون ، ولعله أشاع عنك قولاً سيئاً ، افتح عينيك يا أخي الصغير ، لن يجرؤ شيرخان على قتلك في الأدغال ، ولكن

تذكر أن (أكيلا) طاعن في السن ولا يقدر على قتل ماعز ، وأن أغلبية أعضاء المجلس في مثل سنه ، وهم الذين قبلوك في عشيرة الذئاب ، ويظن الذئاب الشباب الآن أنه لا مكان لك داخل العشيرة ، وهذا بتحريض من شيرخان ، وسوف تغدو رجلاً عما قريب .

– ولِمَ لا يجري الرجل مع إخوته في الأدغال ؟ لقد ولدت في هذه الأدغال ، وأطيع قوانينها ، ولا يوجد ذئب لم أنزع له شوكة من مخلبه ، فهم إخوتي حتماً .

فقالت له الباغيرا وهي تتمطى :

– يا أخي الصغير ، ضع يدك تحت عنقي .

ولمست يد ماوغلي السمراء القوية ندباً غائراً تحت عضلات عنقها الحريري فقالت له :

– لا أحد في الغابة يعرف أن الباغيرا تحمل هذا الندب ، وهو من أثر الطوق في رقبتي ، لقد نشأت بين بني البشر ، وبين بني البشر ماتت أمي داخل أقفاص القصر الملكي في (أوديبور) ، ولذلك فديتك بثور حينما كنت صغيراً ، نعم لقد نشأت أيضاً بين البشر ولم أر الأدغال في حياتي ، وكانوا يقدمون لي الطعام من وراء القضبان في أوعية من حديد ، وذات يوم أحسست أني باغيرا الفهدة السوداء ، لا لعبة يلهو بها البشر ، وبضربة واحدة كسرت القفل وهربت ، ولأني أعرف طبائع البشر أصبحت أكثر دهاء وخطراً من شيرخان ، أليس كذلك ؟

قال ماوغلي :

– نعم كل الأدغال تخشى باغيرا ما عدا ماوغلي .

فقالت بحنان :

– أنت إنسان صغير طيب ، وكما عدتِ أنا إلى غابتي ، كذلك يجب عليك أن تعود إلى إخوتك من بني جنسك إلا إذا قُتلت أثناء انعقاد المجلس .

وسأل ماوغلي :

– ولكن لماذا يسعون إلى قتلي ؟

فقالت الباغيرا :

– انظر في عيني .

وثبت ماوغلي نظراته في عينيها ، وبعد ثلاثين ثانية كفّت الفهدة طرفها ، فقالت وهي تداعب أوراق الأشجار :

– على الرغم من أني ولدت بين بني البشر ، فلا أقدر على مقاومة نظرتك لأنك ذكي ، ولقد أحببتك لأنك ذكي تنـــزع الأشواك من الأيدي ، ولأنك إنسان ..

فقال بلهجة غاضبة وهو يعقد حاجبيه :

– ولكني أجهل هذه الأمور .

– يقول قانون الأدغال : " اضرب أولاً ثم قل رأيك " ، ولأنك لا تبالي يعتبرونك إنساناً ، ولكن حذار ، فحين لا يقدر أكيلا على اصطياد فريسته سوف ينقلبون عليه وعليك ، وهذا ما أحسه في أعماق نفسي ، وسوف يعقدون مجلساً فوق الصخرة وحينئذٍ ..

توقفت الفهدة عن الكلام وكأنها تفكر ثم نهضت فجأة :

– وجدتها ، انزل سريعاً إلى الوادي حتى مساكن البشر وخذ قطعة من الزهرة الحمراء التي يزرعونها ، وحين تحتاج المساعدة ستكون لك خير معين ، أفضل من بالو ومن العشيرة التي أحببتها ، هيا اجلب الزهرة الحمراء .

كانت الباغيرا تعني بكلمة الزهرة الحمراء " النار " ، ولكن لا أحد في الأدغال يدعو النار باسمها ، فهم يخشونها خشية الموت ، ويخترعون لها ألقاباً لئلا يُلفظ اسمها .

قال ماوغلي :

– نعم ، إن الزهرة الحمراء تنمو قرب منازلهم ، عند الغسق سآتي بها .

فقالت باعتزاز :

– هذا هو الإنسان الصغير الذي أعرفه ، ولا تنس أنها تنمو في آنية صغيرة ، فاحتفظ بها إلى جانبك لكي تستخدمها حين يهاجمك العدو .

قال ماوغلي :

– حسناً سأمضي .

ثم طوق عنقها بيده ، وحدق النظر إلى عينيها وأضاف :

– ولكن أواثقة أنت من أن شيرخان يريد بي الأذى ؟

– أقسم لك بالقفل المكسور الذي أعتقني يا أخي الصغير !

فقال ماوغلي :

– أقسم لك بالثور الذي افتداني لأكيلن لشيرخان الصاع صاعين وزيادة .

ومضى مسرعاً .

وهمست باغيرا لنفسها وهي تستأنف نومها :

– نعم إنه لرجل ، هيىء نفسك الآن يا شيرخان لحرب لا علاقة لها بصيد الضفادع .

الفصل السابع



مضى ماوغلي بأقصى سرعته بعيداً في أعماق الأدغال ، وكأن قلبه يلتهب في صدره ، ثم عاد إلى المغارة حينما بدأ ضباب المساء يتصاعد في الهواء ، فأبطأ في مشيته ثم مد بصره نحو الوادي ، كانت صغار الذئاب قد خرجت ، ولكن الذئبة الأم لاحظت لهفته ، فعلمت أن شيئاً ما يشغل ضفدعها الصغير فسألته :

– ماذا بك يا ولدي ؟

فأجابها :

– أفكر بكل الحماقات التي يشيعها شيرخان ، ولكني سأصيد اليوم في الأراضي المزروعة .

وغادر أمه .

اجتاز الأجمات ثم هبط الوادي حيث يسير النهر سريعاً ، وتوقف إذ سمع صرخات الصيد تتعالى من حناجر الذئاب ، وخوار وعل ضاقت به الحيل وحوصر بين الصخور .

حينئذٍ نادى صغارُ الذئاب بأصوات ساخرة :

– أكيلا ، أكيلا .. جرب قوتك أيها الذئب المتوحد ! هيا يا زعيم العشيرة ، هيا يا أكيلا !

وهجم أكيلا ولكنه أخطأ فريسته لأن ماوغلي سمع قضقضة أنيابه ثم عواءه ، إذ ركله الوعل بكل قوته .

لم ينتظر ماوغلي فاستأنف جريه والعواء يتعالى في الوادي ، حتى وصل الأراضي المزروعة ومساكن الفلاحين .

وهمس لنفسه وهو مختبىء في كومة تبن قرب الكوخ :

" الفهدة على حق ، سيأتي يوم يثبت فيه أكيلا قوته وأنا أيضاً " .

اقترب من النافذة فرأى النار مشتعلة في الموقد وزوجة الفلاح تنهض لترمي فيها بعض الحطب .

وفي الصباح حينما اشتد البرد لاحظ ماوغلي أن ابن الفلاح يتناول سلة صغيرة من الخيزران مملوءة بالتراب ويملؤها جمرات حمراء ، ثم يضعها تحت سريره ويمضي للعناية بالبقرات .

قال ماوغلي :

– المسألة بسيطة ، لئن استطاع صبي صغير أن يفعلها فلا خوف منها .

وبقفزات سريعة دار حول المنـــزل ووجد الصبي ، فانتزع منه السلة واختفى في ضباب الصباح وصرخات الطفل تلاحقه ، وقال لنفسه : " هؤلاء الناس يشبهونني " .

وبدأ ينفخ في الجمرات كما رأى المرأة تفعل ، وقال :

– هذا الشيء يموت إذا لم أطعمه .

ووضع بعض الأغصان الصغيرة والقشور اليابسة على المادة الحمراء ، وفي طريق صعوده إلى الهضبة رأى الفهدة . كان ندى الصباح يلتمع فوق جلدها الأسود وكأنه حجارة القمر .

قالت الفهدة :

– لقد أخطأ أكيلا فريسته ، فكادوا يقتلونه الليلة الماضية ، وبحثوا عنك فوق الهضبة .

– كنت في الأرض المزروعة ، وأنا مستعد الآن ، انظري ..

ورفع سلة النار إلى أعلى ، فقالت :

– رأيت البشر يرمون غصناً يابساً على هذا الشيء ، فتزدهر الزهرة الحمراء ، ألست خائفاً ؟

– لا ، ولِمَ الخوف ؟ ربما كنت أحلم ، ولكني أذكر قبل أن أكون ذئباً أني كنت أنام قرب الزهرة الحمراء فأحس بالدفء .

قضى ماوغلي النهار كله جالساً في المغارة يراقب سلة النار ، ويرمي فيها الأغصان اليابسة ليرى ما يحدث حتى حصل على نار عالية اللهيب .

وفي المساء حينما صعد (تباكي) حتى المغارة ليعلن بشيء من الوقاحة أنهم يطلبونه إلى مجلس الصخرة ، ضحك ماوغلي عالياً فهرب (تباكي) خائفاً .

ذهب ماوغلي إلى المجلس مزهواً . كان أكيلا الذئب المتوحد متمدداً بطوله على الصخرة ، وكأنه يعلن أن موعد إقصائه عن رئاسة العشيرة قد حان .

أما شيرخان فكان يتبختر طولاً وعرضاً مباهياً بقوته ، ومعه بطانته من الذئاب المتغذية على بقايا طعامه .

وجلست الفهدة قرب ماوغلي الذي وضع السلة بين ركبتيه .

وحين اكتمل جمعهم تناول شيرخان الكلمة ، وهذا أمر ما كان ليجرؤ عليه حينما كان أكيلا زعيماً قوياً مطاعاً .

وهمست الفهدة لماوغلي :

– إنه شيء مخالف للقانون أن يتناول النمر الكلمة في مجلس الذئاب .

فنهض ماوغلي واقفاً وهتف :

– يا شعب الأحرار هل شيرخان زعيم العشيرة ؟ وما علاقة النمر بقضية الاستخلاف ؟

قال شيرخان :

– لقد رأيت الجلسة مفتوحة فتناولت الكلمة .

فقال ماوغلي :

– ومن افتتحها ؟ هل نحن أبناء آوى حتى نستعين بصائد المواشي ؟ إن اختيار الزعيم قضية تخص العشيرة وحدها .

وتعالت الأصوات : اسكت أيها الإنسان الصغير .

ورددت أصوات أخرى : دعوه يتكلم إنه يحترم قانوننا .

وفي النهاية صرخ قدماء العشيرة : ليتكلم الذئب المخلوع .

فرفع أكيلا رأسه متثاقلاً وقال :

– يا شعب الأحرار .. وأنتم أيضاً يا أبناء آوى من أتباع شيرخان .. لقد كنت زعيمكم فصولاً كثيرة ، فما وقع أحدكم طول مدة حكمي في الفخ أو ناله مكروه ، واليوم وقد أخطأت فريستي ، وأنتم تعلمون أنها كانت مؤامرة مدبرة ضدي ، إذ هيجتم الوعل حتى الجنون كي يظهر أمام الجميع ضعفي ، حقكم عليّ الآن أن أُقتَل هنا على مجلس الصخرة ، لذلك أسألكم من منكم سيجهز على الذئب المتوحد ؟ فقانون الأدغال يمنحني هذا الحق ، حق مبارزتكم فرداً فرداً .

وخيم صمت طويل ، فقد أحجمت الذئاب كلها عن المبارزة حتى الموت مع أكيلا ، فقال شيرخان حينئذٍ :

– ليس لنا شأن بهذه الجثة التي لا أنياب لها ، فقد انتهى أمر أكيلا وحكم عليه بالموت ، إنما الإنسان الصغير الذي عاش أكثر مما يجب هو طريدتي منذ زمان طويل ، لقد سئمت من قضية هذا الإنسان الذئب ، فقد أقلق الأدغال منذ عشرة فصول ، أعطوني الإنسان الصغير وإلا فسيكون صيدي في إقليمكم على الدوام ، ولا تنالون مني عظماً واحداً ، إنه إنسان وابن إنسان وأكرهه من أعماق قلبي .

فزمجر أكثر من نصف الحاضرين :

– إنه إنسان ، وماذا يفعل الإنسان بيننا ؟ فليذهب إلى بني جنسه .

وهتف شيرخان :

– إنه هنا لكي يحرّش علينا سكان القرى ، أعطوني إياه ، فهو إنسان ولا يقدر أي منكم أن يحدق في عينيه .

فرفع أكيلا رأسه مرة ثانية وقال :

– لقد اقتسمنا زادنا معه ونام في مغارتنا ، وصاد الفرائس معنا ، واحترم قانون الأدغال .

قالت الفهدة بصوتها الرنان :

– لقد افتديته حين تبنيته ، صحيح أنه لا قيمة للثور ، ولكن شرف الفهدة لا يهان ، ولن يسلم شرفها من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم .

وهتفت العشيرة :

– ما قيمة ثور ضحيّتِ به منذ عشر سنين !

قالت الفهدة وقد كشرت عن أنيابها الناصعة :

– إنه عهد ينبغي الوفاء به .

وزمجر شيرخان :

- لا مكان للإنسان الصغير بين شعب الأدغال ، أعطوني إياه .

تابع أكيلا كلامه قائلاً :

- إنه أخي ، أوَ تجرؤون على قتل أخي ؟ إن بينكم ذئاباً تقتل المواشي وتتبع شيرخان في ضلاله ، فتخطف أبناء الفلاحين في ظلام الليل ، إني أعرف الجبناء فيكم وأتوجه إليهم بالخطاب ، سوف أموت لا محالة ولكني أهب حياتي فداء الإنسان الصغير ، ولكني أعدكم إن تركتم الإنسان الصغير يمضي آمناً إلى بني جنسه ألا أقاتل أحداً منكم حتى ساعة موتي ، وسوف أموت دون قتال ، وبذلك أنقذ ثلاثة أرواح من أبناء عشيرتي ، فإن رضيتم يكون شرف العشيرة في مأمنٍ من العار ، ولا يقال عنها إنها تقتل من عاهدته طبقاً لقانون الأدغال .

وصرخت العشيرة :

- إنه إنسان ، ولا مكان للإنسان بيننا .

تجمهر معظم الذئاب حول شيرخان الذي جعل يحرك ذيله ويضرب به الهواء .

قالت الفهدة لماوغلي :

- القضية بين يديك الآن ، ولا مفر من أن يقتتل أبناء العشيرة فيما بينهم .

نهض ماوغلي وسلة النار بين يديه ثم تمطى وتثاءب على مرأى من المجلس كله ، ولكنه كان يكتم هياجه وحزمه ، فقد تبينت كراهية الذئاب له ، وانكشف نفاقها أمامه ، ثم هتف :

- كفوا عن التنابح أيها الكلاب ، تأكد لي هذه الليلة صواب كلامكم .

ولكني سأظل ذئباً بينكم حتى آخر عمري ولن أدعوكم من الآن إخوتي بل أيها الكلاب ، فأنتم لا تتصرفون كما يفعل الذئاب شعب الأحرار ، ولعلكم لا تعلمون أني أنا الإنسان قد جلبت لكم ها هنا سلة من الزهرة الحمراء التي يخشاها الكلاب .

ورمى ماوغلي السلة على الأرض فأشعلت بعض جمراته كومة من التبن اليابس ، فتراجع أفراد المجلس رعباً لرؤية النار الملتهبة ، وأخذ ماوغلي غصناً يابساً فأشعله وجعل يلوح به فوق رأسه وبين جموع الذئاب المذعورة .

قالت الفهدة بصوت خفيض :

– أنت السيد ، أنقذ أكيلا من الموت فهو صديقك الوفي .

أما أكيلا الذئب الجريء الذي لم يطلب النجدة في حياته من أحد ، فقد رمى نظرة استعطاف إلى ماوغلي الواقف عاري الجسد ، وشعره الطويل الأسود يتطاير على كتفيه وهو يلوح بالغصن المشتعل والظلال تتراقص حوله .

قال ماوغلي وهو يجول بنظراته فيما حوله ، ويتفحص الوجوه الخائفة :

- حسناً ، أرى الآن أنكم كلاب ، وسوف أترككم وأعود إلى بني جنسي ، لقد نبذتني الأدغال ، فيجب أن أنسى لغتكم وأهجر صحبتكم ، ولكني أعدكم إذا رجعت إلى بني جنسي ألا أخونكم كما فعلتم .

وضرب ماوغلي النار بقدمه فتطاير الشرر منها وتابع قائلاً :

– لن أكون السبب في تقاتل العشيرة فيما بينها ، ولكنّ عليّ ديناً يتوجب أداؤه قبل مغادرتي لكم .

وخطا خطوة واسعة ، فاقترب من شيرخان الذي كانت عيناه تبرقان من النار وأمسك بلحيته ، وخشيت الفهدة أن يحدث لماوغلي مكروه ، لكنه صرخ بأعلى صوته :

– انهض أيها الكلب حين يكلمك الإنسان وإلا وضعت النار في إهابك .

خفض شيرخان أذنيه فوق رأسه وأغمض عينيه ، إذ كان الغصن المشتعل قريباً من وجهه .

– لقد زعم جزار المواشي هذا أنه سيقتلني وسط المجلس إذ أفلتُ منه وأنا صغير ، فانظروا إلينا نحن البشر كيف نعاقب الكلاب ، حَرّكْ شعرة واحدة من شاربيك لأدس الزهرة الحمراء في حلقك .

وضرب رأس شيرخان بالغصن المشتعل فدمدم النمر وهو يكاد يموت من الفزع ، ثم تابع ماوغلي :

– اغرب عن وجهي يا قط الأدغال ، ولكن تذكر أني إذا رجعت إلى صخرة المجلس وأنا إنسان فستكون ثيابي مصنوعة من جلدك يا شيرخان ، وأما أكيلا فسوف يعيش طليقاً كما يحلو له ، نعم لن يُقتل لأن هذه إرادتي ، والآن ماذا تفعلون هنا وألسنتكم مدلاة وكأنكم ذئاب محترمة ، فما أنتم سوى كلاب ، وسوف أطردكم طرد الكلاب .

وشرع ماوغلي يضرب بالغصن المشتعل يمنة ويسرة وفي وسط الذئاب ، فهربت تعوي والنار تحرق فراءها .

في النهاية لم يبق سوى الفهدة وأكيلا وعشرة ذئاب من أنصار ماوغلي ، وحين هدأت نفسه سالت الدموع على وجهه فقال :

– ما هذا ؟ ما هذا ؟ بي رغبة في مغادرة الأدغال ، ولا أدري ما أصابني ، فهل أنا مشرف على الموت يا باغيرا ؟

قالت الفهدة :

– لا يا أخي الصغير ، إنما هذه دموع بني الإنسان ، وقد تأكدت اليوم أنك إنسان ولست إنساناً صغيراً .

نعم ، إن الأدغال تضيق بك ، فاترك دموعك تجري فليست سوى دموع الإنسان .

فجلس ماوغلي يبكي كما لو أن قلبه سينفطر وهو الذي لم تعرف عيناه الدموع من قبل ، ثم قال :

– والآن سأذهب لأعيش لدى البشر ، ولكن ينبغي لي وداع أمي .

ومضى إلى المغارة فبكى في فرو أمه ، وودع أباه على حين كان إخوته الذئاب يزمجرون حزناً عليه .

قال ماوغلي :

– لا تنسوني .

فقال الصغار :

– لن ننساك ما دمنا قادرين على تتبع الآثار ، وحين تصبح إنساناً تعال إلينا عند منحدر الهضبة ، وسوف نزورك في مزرعتك لنلهو معاً .

وقال الذئب الأب :

– عد إلينا بسرعة ، عد أيها الضفدع الذكي ، لا تتأخر فقد تقدّم بنا العمر أنا وأمك .

وقالت الذئبة الأم :

– عد إلينا بسرعة ، واعلم أيها الصغير أني أحببتك أكثر مما أحببت أولادي .

– سأعود حتماً ، ولكني حين أعود فذلك لكي أنشر جلد شيرخان فوق صخرة المجلس ، لا تنسوا هذا وقولوا لسكان الأدغال ألا ينسوني أبداً .

كان الفجر يلوح في الأفق حين هبط ماوغلي الهضبة وحيداً للقاء هؤلاء المخلوقات الغريبة التي تُدعى بني البشر .

أغنية الصيد لعشيرة الذئاب

عند بزوغ الفجر ترد
الغزلان إلى الغدير
والوعول عطشى لتشرب
أنا رأيتها فبلّغت العشيرة
مرة ومرتين ومرات !

يظلع الذئب إلى قومه
يبلغهم النبأ السعيد
الغزلان والوعول
عند الغدير فيعوي
مرة ومرتين ومرات !

عند الغدير تجتمع عشيرة الذئاب

تتبع آثار الوعول والغزلان

وفي الظلام تجري ولا شيء

يوقفها وهي تعوي

مرة ومرتين ومرات !

الفصل الثامن



بعد أن غادر ماوغلي المغارة بعد مخاصمته للعشيرة على صخرة المجلس ، هبط حتى الأرض المحروثة التي يعيش فيها الفلاحون ، ولكنه لم يشأ أن يتوقف فيها لأنها قريبة جداً من الأدغال ، وهو يعلم أن شيرخان عدوه اللدود يتربص به .

فتابع مسيرته مسرعاً دون أن يغادر الطريق المحاذي للوادي .

وبعد حوالي ثلاثين كيلومتراً وصل إلى منطقة لم يرها من قبل ، إلى وادٍ مملوء بالصخور التي تتخللها الوهاد ، وفي ناحية منه قرية صغيرة فوق الهضبة ، وفي ناحية ثانية تنحدر الأدغال الكثيفة حتى المراعي ، والأبقار والثيران منتشرة في كل الأنحاء .

حين رآه الأطفال الذين يرعون القطيع هربوا وهم يصرخون ، وأما الكلاب الصفراء التي تحوم دوماً حول المدن الهندية فقد رفعت صوتها بالنباح ، وتابع ماوغلي طريقه يدفعه الجوع ، وحين وصل أمام قرية رأى كتلة من الشوك تسد مدخل الطريق ، فقال في نفسه :

- هذه تسد الطريق على المتسللين في الليل بحثاً عما يأكلونه ، فالناس هنا أيضاً يحذرون من شعب الأدغال .

وجلس قرب كتلة الشوك ، وخرج رجل في الحال ، فنهض ماوغلي وفتح فمه وهو يشير بإصبعه إلى حلقه ، دلالة على حاجته إلى الطعام ، فتوسعت عينا الرجل وصعد في الطريق الوحيد للقرية يجري وينادي الكاهن بأعلى صوته .

هو رجل بدين يرتدي الثياب البيضاء وعلى جبهته علامة حمراء وصفراء . ونزل الكاهن إلى مدخل القرية يتبعه أكثر من مائة رجل ، وقد اتسعت عيونهم وهم يصرخون ويشيرون إلى ماوغلي بأصابعهم .

قال ماوغلي في نفسه :

– ليس لدى هؤلاء أي تهذيب وهم يشبهون القرود الرمادية . ورمى شعره الطويل إلى الخلف وهو يحدق في الناس .

قال الكاهن :

– ولماذا تخافون ؟ انظروا إلى هذه الندوب في ذراعيه وقدميه إنها عضات الذئاب ، وما هو سوى طفل ذئب هارب من الأدغال .

وكان ظنه صائباً ، فقد كان ماوغلي يتهارش مع صغار الذئاب ، فيعضونه بأسنانهم ولا يعرفون أنها مدببة تترك أثرها في ذراعي ماوغلي وساقيه ، ولكن ماوغلي لم يكن يعدها عضات .

وقالت بعض النسوة :

– يا ويلاه ، عضت الذئاب هذا الفتى البائس ! انظروا ما أجمله ، عيناه تشعان كجمرتين ، اصدقيني القول يا موسوّة ، ألا يشبه ولدك الذي خطفه النمر ؟

قالت المرأة التي تلبس الأساور الجلدية في معصميها وقد أطالت النظر في ماوغلي :

– صدقت ، وهو على الرغم من نحافته صورة تامة عن ولدي .

أما الكاهن الذي كان ذكياً وطيباً فكان يعرف أن موسوّة زوجة أغنى رجل في القرية ، فرفع عينيه إلى السماء برهة ثم قال بوقار :

– إن ما أخذته الأدغال أعادته الأدغال ، خذي هذا الفتى إلى مسكنك يا أختي ولا تنسي أن تكرمي الكاهن الذي يدرك مصائر الناس .

فقال ماوغلي في نفسه :

– أقسم بالثور الذي افتداني أن هذا الكلام يذكرني بالتحقيق الذي قامت به العشيرة معي ، هيا ! إن كنتُ إنساناً فلابد أن يكون مصيري مصير الإنسان .

وتفرق الجمهور ، وأشارت المرأة إلى ماوغلي أن يتبعها إلى مسكنها . كان في الداخل سرير ثمين مصبوغ بالأحمر ، وصفحة كبيرة من الفخار مزينة برسوم غريبة ، وعدد من الطناجر النحاسية .

وعلى الحائط مرآة حقيقية معلقة تشبه ما يباع في الأسواق الريفية .

قدمت إلى ماوغلي قدحاً كبيراً من الحليب وقطعة خبز ، ثم وضعت يديها على رأسه وحدقت في عينيه مدة طويلة وفكرت أنه قد يكون ولدها العائد من الأدغال بعد أن خطفه النمر ، حينئذٍ نادته :

– ناتو .. ناتو ..

لم يبد على ماوغلي أنه يعرف هذا الاسم .

- وهل تذكر يوم أعطيتك حذاء جديداً ؟ ثم لمست قدمه فكانت صلبة كالقرن .

قالت بلهجة آسفة :

- لا ، لم تلبس هاتان القدمان حذاءً أبداً ، ولكنك تشبه ناتو كثيراً ، ولذلك ستكون ولدي .

أحس ماوغلي بالضيق ، فلم يعش تحت سقف من قبل ، ونظر إلى قش السقف فعرف أنه من السهل انتزاعه إذا رغب في الهرب ، كما أنه ليس للنافذة ترباس .

وقال لنفسه : "وما الفائدة في أن أكون إنساناً ولا أفهم لغة الناس ؟ فها أنا أبله وأخرس مثلما يكون الإنسان داخل الأدغال ، يجب أن أتعلم لغتهم " .

حينما كان يعيش مع الذئاب فإن التدرب على صراخ الوعل أو صوت الخنـــزير تقليد حاد ، فما أن تنطق موسوّة بكلمة حتى يرددها ماوغلي تماماً .

وقبل أن يحل الظلام كان يعرف كثيراً من أسماء الأشياء الموجودة في الكوخ ، ولكنه رفض وقت النوم أن ينام في كوخ يشبه في رأيه فخاً للقرود .

قال زوج موسوّة :

– اتركيه يفعل ما يشاء ، ولعله لم ينم في سرير طول حياته ، وإذا كان قَدَره أن يعوض ولدنا فلن يهرب أبداً .

كان ماوغلي مستلقياً على العشب الطويل الذي يحيط بالحقل حين أحس بأنف حيوان يداعب وجهه ، إنه أحد إخوته من صغار الذئاب فقال له :

– لقد تبعتك ثلاثين كيلومتراً ، أفيكون جزائي أن أشم رائحة الدخان والماشية ، رائحة الإنسان ؟ استيقظ فإني أحمل إليك أخباراً .

قال ماوغلي وهو يعانقه :

– هل الجميع بخير في الأدغال .

– الجميع بخير ماعدا الذئاب التي أحرقتها الزهرة الحمراء ، أصغ إليّ جيداً ، إن شيرخان قد ذهب للصيد بعيداً حتى ينمو شعره الذي أحرقته ، وأقسَم أنه إذا عاد فسوف يرمي عظامك في النهر .

– نحن الآن متساويان ، وقد أقسمت أن أقتله ، ولكني متعب هذا المساء ، متعب من تعلم الأشياء الجديدة .

– ولكن لا تنس أنك ذئب ، ولا تجعل الناس ينسونك هذا ؟

– لا ، سأذكر دائماً أنك أخي ، وكل من في المغارة أهلي ، ولكن لن أنسى أنهم طردوني من العشيرة .

– وقد تطرد من عشيرة أخرى ، فالناس لا يبدلون طبائعهم ، ولا يشبه كلام البشر إلا نقيق الضفادع في الغدير ، وحين آتيك في المرة القادمة سأنتظرك عند سياج الخيزران على حافة الحقول .

الفصل التاسع



خلال ثلاثة الأشهر التالية على تلك الليلة لم يخرج ماوغلي من القرية لأنه كان مشغولاً بمعرفة عادات الناس .

وكان عليه أن يلفّ حوضه بقطعة قماش ، فأزعجه هذا كثيراً . ثم كان عليه أن يتعلم استخدام النقود وفلاحة الأرض التي لم يدرك فائدتها .

كما كان أولاد القرية يثيرون غضبه ، ولحسن الحظ فإن قانون الأدغال قد علمه أن يسيطر على نفسه ، لأن حياته مرهونة بذلك ، وحينما يهزأ الأولاد به إذ لا يشاركهم ألعابهم أو يتعثر في نطق بعض الكلمات ، كان يتمنى لو يمسك بأحدهم ويضرب الأرض به ، ولكنه يعرف أنه لا يليق بالصياد أن يتعرض للصغار العُزّل .

لم يكن ماوغلي مدركاً مقدار قوته ، إذ كان في الغابة ضعيفاً بالقياس إلى الحيوانات ، وأما في القرية فالناس يقولون عنه إنه قوي كالثور .

وكان يجهل الفوارق الاجتماعية بين الناس ، فحين زلق حمار الفاخوري في الطين أعانه ماوغلي على النهوض بأن جره من ذيله ، ثم ساعد صاحبه على تحميل الجرار التي ستباع في

خان هيواره ، فخالف بعمله العرفَ الشائع في القرية لأن الفاخوري من الطبقة الدنيا .

ولما عاتبه الكاهن هدده ماوغلي بأن يربطه إلى ظهر الحمار ، فاتصل الكاهن بزوج موسوّة ونصح بأن يجد لماوغلي عملاً .

أخبر زعيم القرية ماوغلي أنه سيخرج غداً مع الجواميس ليحرسها وهي ترعى ، فكاد يطير فرحاً ، ولكي يحتفل بمهنته الجديدة ذهب إلى الندوة التي تنعقد كل يوم على مصطبة تحت شجرة التين ويجتمع فيها زعيم القرية والحارس والحلاق والصياد (بالديو) الذي يملك بندقية قديمة .

كانت القرود تثرثر على الأغصان العالية ، وفي شرخ داخل المصطبة كانت تعيش حية كوبرا مقدسة يقدمون لها طاساً من الحليب كل مساء .

وكان كبار السن يسهرون حتى ساعة متأخرة من الليل يروون الحكايات العجيبة .

كان (بالديو) يحكي عن انتصاراته العظيمة ، وعن عادات الحيوانات في الأدغال ، حتى إن الأولاد الجالسين بعيداً عن المصطبة كادت عيونهم تخرج من محاجرها دهشة .

أما ماوغلي الذي يعرف أكثر منهم طبائع الحيوانات ، فكان يغطي وجهه بيده ليكتم ضحكه على حين يحتضن بالديو بندقيته ويترك لخياله العنان للتحليق من حكاية عجيبة إلى أخرى أعجب منها .

وكان (بالديو) يشرح لهم كيف أن النمر الذي خطف ابن موسوّة كان شبح نمر سكنته روح أحد المرابين الذي توفي منذ سنوات طويلة .

ثم قال :

- هذه حقيقة معروفة ، والدليل على ذلك أن المرابي (بورن داس) أصابه عرج في قدمه خلال تمرد أحرقت فيه دفاتر حساباته ، كما أن النمر المذكور أعرج أيضاً ، لأن آثار قوائمه على الأرض لم تكن متشابهة .

وأكد كلامه الشيوخ وهم يهزون رؤوسهم .

قال ماوغلي :

- ليست هذه الحكايات سوى خرافات لا أصل لها ، فالنمر يعرج لأنه ولد أعرج ، وهذا معروف للجميع ، وأما حلول روح المرابي في جسد النمر فأمر سخيف لا تقبله العقول .

فكأنما أصابت بالديو صاعقة وحدق زعيم القرية بعينين واسعتين ، قال بالديو :

– آه .. إنه فتى الأدغال أليس كذلك ؟ لئن كنتَ ماهراً كما تدعي فاحمل إلينا جلد هذا النمر لأن الحكومة قد رصدت مائة روبية مكافأة لمن يقتله ، وكان الأفضل أن تصمت حين يتكلم كبار السن .

نهض ماوغلي ثم قال :

– لقد بقيت طول السهرة أصغي إلى بالديو فلم يصدّق فيما رواه عن الأدغال إلا مرة أو مرتين وهي على مرمى حجر منه ، فكيف يصدق فيما يرويه عن الأشباح والأرواح ؟

فكاد بالديو يختنق من الغضب لجرأة هذا الفتى عليه .

من المعتاد في معظم قرى الهند أن توكل إلى مجموعة من الأطفال مهمة العناية بالثيران والجواميس ، فيمضون بها إلى المراعي في الصباح الباكر ويعودون بها مساء ، والأفضل أن

هذه الدواب قد تدوس رجلاً بالغاً بأظلافها ، ولكنها تسلم قيادها إلى الأطفال الذين لا يصلون حتى أكتافها ، وكان الأطفال يشعرون بالأمن معها ، لأن النمر نفسه لا يجرؤ على مهاجمة قطيع من الماشية ، ولكنهم إذا ابتعدوا لقطف الأزهار أو صيد الجرادين فقد يُخطفون .

وذات يوم نزل ماوغلي طريق القرية وهو راكب ظهر (راما) أكبر ثور في القطيع .

فكانت الجواميس الزرقاء ذات القرون الطويلة المعقوفة والعيون الوحشية تنهض من زرائبها وتتبعه ، فأراد ماوغلي أن يبين للأطفال أنه إذا جاء معهم فلكي يكون زعيماً عليهم ، وكان يضرب الجواميس بقضيب خيزران ، ويطلب من (كاميا) أحد هؤلاء الأولاد أن يرعى الثيران ويتبعه بالجواميس وألا يذهب بها بعيداً .

كانت المراعي الهندية تتخللها الصخور والأجمات والأخاديد وتنتشر فيها قطعان المواشي ، وأما الجواميس فتفضل الغدران والأراضي الموحلة التي تتمرغ فيها . فكان ماوغلي يقودها حتى أطراف السهل حيث يخرج النهر من الأدغال ، ثم ينـــزل عن ظهر (راما) ويجري إلى أجمة من الخيزران حيث يقابل أخاه الذئب الأشهب .

قال الذئب الأشهب :

– كم يوماً جئت أنتظرك ؟ وما معنى أن ترعى المواشي ؟

– هذا أمر صدر لي ، وأنا اليوم راعي القرية ، هل من أخبار جديدة عن شيرخان ؟

– كان يتجول في المنطقة ويترصدك هنا ، وقد ابتعد الآن لأن الفرائس نادرة ، ولكنه عازم على قتلك .

قال ماوغلي :

- حسناً ، ما دام قد ابتعد فتعال أنت أو أحد أخوتك واجلس على هذه الصخرة بحيث أراك حين أخرج من القرية ، وحين يعود شيرخان انتظرني في الخندق قرب الشجرة المحترقة وسط السهل ، ولا أريدك أن تخاطر بنفسك .

اختار ماوغلي مكاناً ظليلاً فنام فيه ، على حين كانت الجواميس ترعى من حوله ، فلا شيء أصعب من رعاية الجواميس في الهند ، فالدواب تنتقل من مكان إلى مكان آخر فترعى ، ثم تتابع سيرها وهي لا ترفع صوتها بالخوار .

وحين تدخل مستنقع الطين تغوص فيه حتى مستوى عيونها الزرقاء الواسعة ، وتظل جالسة لا حراك فيها وكأنها جذوع الأشجار .

وكان صغار الرعاة يجدلون سلالاً من العشب اليابس يملؤونها بالجراد أو يصنعون الأطواق من جوز الأدغال الأحمر والأسود ، أو يرقبون الحرادين وهي تتمشى فوق صخرة ، أو ثعباناً يتربص بضفدع قرب الغدير ، ويغنون طول النهار أغاني قراهم .

فالساعات تسير ببطء في حياتهم الرتيبة ، وقد يصنعون من الصلصال قصراً تحيط به الخيول والجواميس والرجال ، أو يصنعون جنوداً يحملون السيوف والرماح .

وحين يحل المساء يطلق الصغار صرخات العودة .

فتنهض الجواميس من الوحول اللزجة ، وتسير طابوراً عبر السهل باتجاه أضواء القرية .

الفصل العاشر



كانت الأيام تمضي سريعة ، وماوغلي يسوق الجواميس إلى المراعي ، ويرى في السهل البعيد الذئب الأشهب وقد أدار له ظهره ، فيعرف أن شيرخان لم يرجع بعد ، وتمضي الأيام يقضيها ماوغلي مستلقياً على العشب يصغي إلى الضجة من حوله وهو يحلم بأيامه الماضية في الأدغال .

كان الصمت مخيماً على السهول ، بحيث يستطيع أن يسمع خطوات شيرخان إذا هبط إليه من الأدغال .

ذات يوم لم ير أخاه الذئب الأشهب في مكانه المعهود ، فساق جواميسه نحو الخندق القريب من الشجرة المحترقة ، فوجد أخاه هناك وقد انتفش وبره وقال له لاهثاً :

– لقد اختبأ شيرخان شهراً لكي تنسى حذرك ، وبالأمس عَبَر السهول بصحبة (تباكي) بأقصى سرعته وهو يقتفي أثرك .

وعقد ماوغلي حاجبيه :

– لا أخاف شيرخان ، ولكن (تباكي) داهية كثير الحيل .

فقال الذئب الأشهب وهو يلعق شدقه :

– لا يهمك أمره فقد كان وجبة شهية للنسور ، وقد اعترف لي بكل شيء قبل أن أدق عنقه ، وخطة شيرخان هي أن يتربص بك هذا المساء في مدخل القرية أنت ولا أحد سواك ، أما الآن فهو مختبيء في الخندق قرب النهر .

قال ماوغلي :

– هل صاد اليوم أم أنه لم يأكل بعد ؟

وكانت حياته متعلقة بجواب سؤاله ، فقال أخوه :

– لقد قتل خنــــزيراً وقت الفجر وشرب أيضاً ، وتذكر أن شيرخان لا يحتمل الجوع سواء أراد أن يثأر لنفسه أم لم يرد .

– يا له من ساذج ، لقد أكل وشرب ويتوقع مني أن انتظره حتى يستيقظ من رقاده ؟ هيا أين يختبيء الآن ؟ إذا استعنت بهذه الجواميس تمكنت من قتله وهو نائم ، ولكنها

لا تستطيع مهاجمته لأنها لم تشم رائحته من قبل ، وأنا لا أعرف لغتها لسوء الحظ ، فهل نتتبع أثره حتى تستطيع الجواميس شمه والتعرف عليه ؟

قال الذئب الأشهب :

– لم يترك وراءه أثراً ، فقد قطع النهر سباحة لمسافة طويلة .

– لا ريب أنها حيلة تباكي ، فهي لا تخطر على باله ، إن أُخدود النهر يتصل بالسهل على مسافة أقل من كيلومتر واحد من هنا . ولابد لنا أن نعبر الأدغال ونسوق القطيع إلى مدخل الخندق ، ولكن شيرخان قد يهرب من الناحية الثانية ، فيجب علينا أن نسد الطريق .

ثم خاطب أخاه :

– هل تستطيع أن تقسم القطيع إلى قسمين ؟

– لا أستطيع هذا وحدي ، ولكن معي رفيقاً ماهراً .

ثم هرول واختفى داخل جحر ، ثم عاد ومعه ذئب أغبر اللون كبير الرأس يعوي عواء ترتجف له حيوانات الأدغال ، فهتف ماوغلي :

– أكيلا ، أكيلا ، أعرف أنك لن تنساني ، مطلوب منك الآن أن تقسم القطيع إلى قسمين ، فتجمع الأمهات والصغار من ناحية وجواميس الحرالة من ناحية أخرى .

كان الذئبان يجريان خلال القطيع وكأنهما يؤديان رقصة معقدة الخطوات ، وبعد قليل أصبح القطيع مقسوماً إلى قسمين .

في القسم الأول الأمهات المتحلقة حول صغارها المستعدة لصد أي هجوم يهددها والدفاع عن صغارها حتى الموت .

والقسم الثاني الثيران يخبطون الأرض بأظلافهم وقد اطمأنوا إلى سلامة الصغار مع أمهاتهم . وكانت مهمة يعجز عن أدائها ستة رجال .

قال أكيلا لاهثاً :

- هل من أوامر جديدة ؟

فأجابه ماوغلي وهو على ظهر (راما) :

- ادفع الثيران إلى ناحية اليسار يا أكيلا ! وأنت يا أخي حين نبتعد اجمع الأمهات وادفعها إلى ممر الخندق .

قال الذئب الأشهب وهو مبرز أسنانه :

- إلى أي مسافة من الخندق ؟

- إلى مكان الجدران العالية من الخندق ، حتى لا يستطيع شيرخان القفز منها .

انطلقت الثيران مبتعدة وأكيلا ينبح وراءها ، على حين حجز الذئب الأشهب الأمهات والأطفال فهاجمته ، فكان يتطارد لها ويجري أمامها فتتبعه ، حتى أوصلها إلى مدخل الخندق ، وأما أكيلا فقد ساق الذكور بعيداً إلى ناحية اليسار .

كان ماوغلي يشجعه قائلاً :

– أحسنت صنعاً يا أكيلا ، أسرع بهم أكثر حتى نصل في الوقت المناسب ، ولا تعضهم بأنيابك لئلا ينقلبوا علينا ، والحقيقة يا أكيلا يا صديقي الطيب أني لم أكن أتخيلك بهذه البراعة والدهاء .

فقال أكيلا :

– طالما طاردت الحيوانات في حياتي ، فهل تريد أن أسوقها إلى الأدغال ؟ !

– نعم ، ردها بسرعة ، فقد كاد راما يفقد صوابه من الغضب ، وكم تمنيت لو أفهم لغته لأطلب منه مساعدتي هذا اليوم .

ورأى الرعاةُ الأطفالُ الثيرانَ هائجةً مبتعدةً عن المراعي ، فهرولوا إلى القرية يعلنون للناس أن الثيران فقدت صوابها وهربت إلى الأدغال .

كانت خطة ماوغلي شديدة البساطة ، فهو يريد أن يدفع القطيع إلى الخندق فيحاصر شيرخان من الناحيتين : من الناحية الأولى الأمهات والصغار ، ومن الناحية الثانية ذكور الثيران ، وكان يعلم أن شيرخان قد ملأ بطنه وشبع ولم يعد قادراً على القتال أو القفز فوق حيطان الخندق .

هدّأ ماوغلي من سرعة القطيع ، وحاصر أكيلا الثيران الشاردة وردّها إلى المجموعة ، حتى أطبقت على مدخل الخندق وكأنها ترسٌ من الحديد .

ظل الجميع ساكنين لئلا يتنبه شيرخان إلى وجودهم .

صعد ماوغلي إلى ذروة الهضبة وارتقى إحدى الأشجار العالية ، وراقب مدخل الخندق فوجده مغلقاً بإحكام ، ولا يستطيع شيرخان أن يتسلق حيطانه أو ينفذ من بين الثيران المتراصة ، وأشار إلى أكيلا أن يترك القطيع يستريح لأنه لم يشم رائحة النمر بعد ، وسوف يهيج بعد أن أحكم إغلاق الفخ عليه .

وضع ماوغلي يديه حول فمه وأطلق صرخة عالية رددت الأدغال صداها ، فتبعها بعد فترة طويلة زئير النمر الذي استيقظ من نومه .

تساءل شيرخان :

– من المنادي ؟

– أنا ماوغلي يا لص المواشي ، وقد حان الوقت لكي تمضي إلى صخرة المجلس ، أسرع فإني بانتظارك .

وأشار إلى أكيلا فوقف القطيع أمام الأرض المنحدرة متردداً ، ولكن أكيلا عوى وراءه عواء الصيد ، فاندفعت الثيران وكأنها تيار من الحجارة والرمال يجرف كل ما يقف في طريقه ، وقبل أن يدخل القطيع كله في الخندق شمّ راما رائحة شيرخان ورفع صوته بالخوار .

قال ماوغلي وهو على ظهره :

– هل فهمت الآن ما أريد ؟

كانت مئات القرون السوداء المعقوفة والأشداق التي يتطاير منها الزبد مندفعة في الخندق هائجة كما تتدحرج

الصخور زمن الطوفان ، فأي نمر يستطيع الوقوف في وجه هذا السيل العارم ؟

حين سمع شيرخان هدير التيار في الخندق جرى يبحث عن مهرب في كل الاتجاهات ، فلم يجد النجاة إلا في الجري بأقصى سرعته أمام هذا السيل الجارف ، وكانت معدته المملوءة تعيق حركته ولا تساعده على القتال .

كانت الثيران تصرخ بأعلى صوتها ، وكان خوارها يتردد في جنبات الوادي .

وسمع ماوغلي أصوات الأمهات تجاوبها من الناحية الثانية ، وأدرك شيرخان أنه قد وقع بين فكين من القطعان الهائجة ، فعاد أدراجه مفضلاً مقاتلة الثيران على مقاتلة الإناث التي تستبسل دفاعاً عن صغارها ، ولكنه لم يجد وقتاً للاستعداد ، فقد أطبق عليه السيل من كلتا الناحيتين .

واختلط القطيعان واصطدمت القرون بالأظلاف حتى تطايرت بعض الأبقار الصغيرة في الهواء .

دفع ماوغلي راما في اتجاه واحد ، فتبعته بقية الثيران ، وحاصرها أكيلا والذئب الأشهب حتى ساقوها إلى ناحية واحدة من الخندق وهرولت إلى السهل الفسيح .

أما شيرخان فقد داسته الأظلاف وأصبح جثة هامدة .

كانت النسور تحلق في السماء مستعدة لتناول هذه الوليمة الدسمة .

قال ماوغلي وهو يستل سكينه الذي يحمله منذ أن بدأ حياته مع الناس :

– لقد مات شيرخان ولم يبق منه سوى جلده الذي سأنشره على صخرة المجلس .

كانت مهمة صعبة لفتى في عمر ماوغلي أن يسلخ جلد نمر طوله ثلاثة أمتار ، ولكنه عاش بين الناس ورآهم يسلخون جلود الحيوانات ، وقد ساعده في عمله صديقه أكيلا الذي أمسك الجلد بأنيابه ليسهل على ماوغلي سلخه ، وما إن مضت ساعة حتى كان جلد النمر مسلوخاً عن جسده .

وفجأة استقرت يد على كتف ماوغلي ، فالتفت ليرى (بالديو) أمامه حاملاً معه بندقيته ، لقد حكى له الأطفال كيف تدافعت القطعان إلى الخندق ، فجاء باحثاً عن ماوغلي ليعاقبه على إهماله .

واختفى الذئبان حين رأيا الرجل .

صاح بالديو هائجاً :

– ما هذا الحيوان ؟ وكيف تسلخ جلد النمر وحدك ؟ وأين الجواميس التي قتلها ؟ إنه النمر الأعرج الذي يكافأ

قاتله بمائة روبية ، حسناً . سأغض الطرف عن إهمالك تجاه القطعان ، وقد أعطيك روبية واحد من المكافأة حينما أحمل جلده إلى خان هيواره .

وبحث بالديو في جيبه فأخرج قدّاحة ، ومال على النمر ليحرق شاربيه .

إن معظم صيادي المنطقة يفعلون هذا ليمنعوا شبح النمر من العودة إلى ديارهم ليسكنها .

قال ماوغلي وهو يطوي جلد النمر :

– أبعد هذه النار عن الجلد ، ولن تحمله إلى خان هيواره ولستُ بحاجة إلى روبية منك ، إنما أحتاجه إلى غرض آخر .

– هل هذه لهجة تتحدث بها إلى زعيم الصيادين ؟ وكيف تستخدم القطعان لمهاجمة النمر ، ولو لم يكن مملوء المعدة لكان على بعد خمسين كيلومتراً من هنا ، وكيف تمنعني

من حرق شاربيه ؟ أتريد لشبحه أن يسكن القرية ؟ لن تنال مني يا ماوغلي ولا جزءاً من الروبية ، بل صفعة قوية تعلمك احترام بالديو .

قال ماوغلي :

– اقسم بالثور الذي افتداني لن أقضي النهار في الحديث مع قرد هرم ! أكيلا ، احرس هذا الرجل !

فانقلب بالديو على ظهره بين الحشائش والذئب الرمادي جاثم على صدره يحدق في وجهه .

قال ماوغلي :

– اعلم أنك لن تعطيني شيئاً من المكافأة ، ولا أهتم بذلك لأن بيني وبين شيرخان ثأراً قديماً ، وها أنا قد تغلبت على هذا النمر الأعرج .

والحق أن بالديو لم يكن جباناً ، فلو كان قبل عشر سنوات وصادف (أكيلا) في الغابة لاصطاده ، ولكن ما هذا الذئب الذي يطيع أوامر فتى صغير ؟

وما هذا الفتى الذي له ثأر قديم مع النمر آكل البشر ؟ وهل هذه إلا أعمال سحرية ؟ وهل تحميه التميمة التي يحملها حول عنقه من شر هذا الساحر ؟

وظل بالديو جامداً كالقتيل متوقعاً أن يتحول ماوغلي إلى نمر مسحور ، فهمس بصوت مبحوح :

– يا مهراجا ، أيها الملك العظيم !

قال ماوغلي :

– وماذا تريد مني ؟

– كيف أعرف أنك لست راعياً بسيطاً ؟ وهل تتكرم عليّ بأن تطلق سراحي ، أم أنك ستأمر هذا الذئب الأحول بتمزيقي ؟

– اذهب بسلام ، ولكن إياك أن تتعرض لفرائسي في المستقبل ، اتركه يا أكيلا !

ابتعد بالديو هارباً نحو القرية وهو ينظر وراءه خشية أن يتحول ماوغلي إلى مخلوق مخيف .

وما كاد يصل إلى القرية حتى حدثهم عن عجائب السحرة وأهوالهم ، فارتسمت على وجه الكاهن علامات الحيرة .

حان وقت عودة ماوغلي إلى القرية مع القطيع بعد أن أنهى سلخ جلد النمر ، فطلب من أكيلا أن يساعده على إخفاء الجلد وجمع القطيع .

وتجمعت القطعان تحت ضباب المساء في طريقها إلى القرية .

ولمح ماوغلي الأضواء تلمع من بعيد ، وسمع أصوات الأبواق وقرع النواقيس ، وكأن القرية كلها تنتظر عودته احتفالاً بقدومه .

قال لنفسه :

– كل هذا لأني قتلت شيرخان ؟ !

وفجأة انهمرت عليه الحجارة تصفر حول أذنيه وأصوات الفلاحين تصرخ فيه :

– ساحر ، ابن الذئب ، شيطان الأدغال ، ابتعد من هنا ، وإلا أعادك الكاهن إلى شكلك الذئبي ، صوب يا باليدو ، صوب !

وانطلقت رصاصة من البندقية العتيقة وملأ دويها الوادي وسقط على الأرض عجل يتلوى من الألم .

وهتف الفلاحون :

– يا له من ساحر ، لقد حول رصاصتك يا بالديو عن هدفها ، فأصابت عجلك الصغير .

قال أكيلا وقد أقعى على مؤخرته :

– إذا لم يخب ظني ، فإن معنى هذا السيل من الحجارة أنهم لا يريدونك بين العشيرة .

هتف الكاهن وهو يحرك غصناً مقدساً من " التولسي " :

– يا ذئب ، يا بن الذئب ، ارحل من هنا .

قال ماوغلي مخاطباً أكيلا :

– لا أحد يرغب فيَّ ، طُردت في المرة الأولى لأني إنسان ، وأُطرد الآن لأني ذئب ، فنلرحل من هنا .

لكن موسوّة انطلقت من بين الجموع نحو ماوغلي والدموع تنهمر من عينيها : آه يا ولدي ، يقولون إنك ساحر قادر على التحول إلى حيوان ، ولا أعتقد هذا ، ولكن ارحل وإلا قتلوك ، يزعم بالديو أنك ساحر ولكني أعلم أنك انتقمت لموت ناتو .

وصرخ بها الناس : عودي يا موسوّة وإلا رجمناك .

قال ماوغلي : هذه خرافة أخرى من السحر سيرويها الناس وهم جالسون تحت شجرة التين ، لقد انتقمت لمقتل ولدك وسوف أعيد القطعان بأسرع ما يكون ، الوداع ..

أصدر ماوغلي أمره إلى أكيلا ، فزمجر بالقطعان فاندفعت نحو القرية وتفرق الناس من حولها يميناً ويساراً ، وهتف لهم ماوغلي : احسبوا دوابكم فقد تنقص منها واحدة ، ولن

أرعاها لكم بعد الآن ، وداعاً يا أبناء الإنسان ، واشكروا موسوّة لأني غيّرت رأيي فلم آمر ذئابي أن تصيدكم .

وأدار ظهره وابتعد مع الذئب المتوحد .

رفع رأسه إلى السماء فرأى النجوم تلمع فيها وأحس بالسعادة .

قال له أكيلا : سئمت من الوقوع في الفخاخ ، فلنأخذ جلد شيرخان ونرحل ، ولن ننال القرية بأذى لأن موسوّة كانت طيبة معك .

أطل القمر بنوره على السهول ، ورأى الفلاحون ماوغلي يبتعد ووراءه ذئبان يتبعانه وفوق رأسه صرة تقطر منها الدماء .

وكانوا يطوون المسافات بتلك السرعة التي اشتهر بها الذئاب .

ازداد دق الطبول وقرع النواقيس وكانت موسوّة تبكي ، وأما بالديو فقد أضاف بعض التوابل إلى مغامراته في الأدغال ، حتى إنه ادعى أن الذئب أكيلا كان واقفاً أمامه على قدميه الخلفيتين يخاطبه بلسان هندي فصيح .

ما كاد القمر يغيب حتى وصل ماوغلي والذئبان إلى صخرة المجلس ولكنهم استراحوا في مغارة الذئبة الأم .

قال لها ماوغلي : لقد طردتني عشيرة الإنسان يا أمي ، ولكني أوفيت بوعدي ورجعت ومعي جلد شيرخان .

خرجت الذئبة من المغارة يتبعها صغارها ، وبرقت عيناها حينما أبصرت الجلد وقالت : لقد أنذرته يوم حشر رأسه وكتفيه في مغارتنا ليطالب بك أيها الضفدع الصغير ، إن الصياد يُصاد ، وقد نال جزاءه .

وقال صوت أحد إخوته من المغارة : كنا نحس بالوحدة بعد أن غادرت الأدغال .

جاءت الفهدة مسرعة والتقت بماوغلي وصعدا صخرة المجلس معاً ، فنشر ماوغلي الجلد في الموضع الذي كان يجلس فيه أكيلا سابقاً ، وثبّته من أطرافه الأربعة بأوتادٍ من الخيزران ، واستلقى أكيلا فوقه وأعلن النداء القديم الذي يدعو إلى الاجتماع : انظروا ، انظروا جيداً أيها الذئاب .. مثلما أعلن يوم جيء بماوغلي أول مرة .

بعد عزل أكيلا حرمت العشيرة من زعيمها وبدأت تصيد المواشي دون رادع ولا وازع ، ولكنها استجابت لندائه بدافع من غريزتها ، فبعضهم جاء وهو يعرج لأنه سقط في فخ ، وآخر يظلع لأنه أصيب بطلقة نارية ، وآخرون أصيبوا بالجرب لِما تناولوه من فاسد الطعام .

وغاب عن الجلسة كثير ولكن لم يتخلف أحد من الناجين ، ورأوا بأعينهم جلد شيرخان المخطط منشوراً على الصخرة ، ومخالبه الضخمة متدلية من قوائمه المرتخية .

هنالك ابتكر ماوغلي أغنية لا قافية لها ، أغنية تتصاعد من حنجرته ويرفع بها صوته إلى مداه ويضرب الأرض بقدمه ليضبط إيقاع أغنيته ، على حين يرافقه أخوه الأشهب وأكيلا يرددان وراءه اللازمة الموسيقية بزمجرة عالية .

وبعدما أنهى غناءه سأل الحاضرين : أيها الذئاب ، ألم أفِ بوعدي لكم ؟

فعوى الذئاب : نعم لقد وفيت .

وزمجر ذئب منتوف الذنب : عد إلى زعامتنا يا أكيلا ، وأنت أيها الإنسان الصغير ، فقد سئمنا هذه الفوضى ، ونريد أن نعود شعب الأحرار كما كنا .

وزمجرت الفهدة : لا ، هذا غير ممكن ، فإذا شبعتم عاد إليكم جنونكم ، ولذلك تُدعون شعب الأحرار ، وقد قاتلتم من أجل الحرية فهي ملك لكم ، فاشبعوا منها أيها الذئاب .

قال ماوغلي : لقد طردتني عشيرة الرجال وطردتني عشيرة

الذئاب ، وسوف أصيد في الأدغال وحيداً .

هتف الذئاب الأربعة : سنصيد معاً .

وانطلق ماوغلي .. فكان يصيد في الأدغال مع الذئاب الأربعة ، وبعد عدة سنوات لم يعد وحده إذ بلغ السن الملائمة للزواج .

ولكن هذه حكاية أخرى ، نرويها للكبار .

أغنية ماوغلي

وهي الأغنية التي غناها ماوغلي على صخرة المجلس حينما كان يرقص على جلد شيرخان .

هذه أغنية ماوغلي

أنا وماوغلي أغنيها

فلتصغ الغابة إلى حكايتي

قال شيرخان إنه سيقتلني

نعم .. سيقتلني ..

قرب الأبواب عند الغسق

سيقتل ماوغلي الضفدع

فأكل وشرب ..

كل واشرب يا شيرخان

فلعلك لن تشرب

في مستقبل الزمان

نم واحلم بهذا الإعدام ..

أنا وحيد في المراعي ، يا أخي الأشهب تعال إليَّ

وأنت أيها الذئب المتوحد اجمع هذه الجواميس

والثيران ذات الجلد الأزرق والعيون الغضبى

وسقها هنا وهناك .. مثلما آمرك

أما تزال نائماً يا شيرخان .. ؟

انهض من نومك ، ها أنت جئت والثيران معي

و" راما " ملك الجواميس يضرب الأرض بأظلافه

يا مياه النهر أين اختفى شيرخان ؟

أيها الخلد (إيكي)

أيها الطاووس (ماو)

أيها الوطواط (مانغ)

أخبروني ..

أين اختفى شيرخان ؟

ويلاه .. إنه هنا ..

تحت أظلاف راما يموت النمر الأعرج

انهض يا شيرخان ..

ها هي الثيران أمامك فاقتلها

سكوتاً ..

إنه نائم .. لا توقظوه

إن قوته لا مثيل لها والنسور هبطت لتراه

صعد النمل الأسود ليتعرف عليه

وانعقد مجلس كبير تشريفاً للنمر

ليس لي شعر أستر به جسدي

وأنا خجل أمام الناس

أعرني جلدك يا شيرخان

أعرني جلدك المخطط ..

حتى أمضي إلى صخرة المجلس

وقسماً بالثور الذي افتداني

لقد قطعت على نفسي عهداً ..

وأحتاج ثوبك للوفاء به

سكيني بيدي ..

سكين الصياد البشري

أمسكته وانتزعت به حقي

يا مياه النهر اشهدي

إنه شيرخان وهبني جلده

اجذب أيها الذئب الأشهب

اجذب يا أكيلا ..

إنه ثقيل جلد شيرخان

عشيرة البشر غاضبة ..

ترشقني بالأحجار وتقول الحماقات

وفمي ينـــزف فلنهرب ..

في الليل .. الليل الدافىء ..

رافقوني في ركضي يا إخوتي

سنترك نيران القرية

ونمضي نحو القمر المتدلي

يا مياه النهر ..

لقد طردتني عشيرة البشر

ولم أؤذهم ، ولكنهم يخافونني ، لماذا ؟

يا عشيرة الذئاب .. أنت أيضاً طردتني .

الأدغال مغلقة ، وأبواب القرية مفتوحة ، لماذا ؟
ومثلما الوطواط حائر بين الدابة والطائر
فأنا حائر بين الأدغال والقرية ، لماذا ؟
إني أرقص فوق جلد شيرخان
لكن قلبي عامر بالأحزان ..
هذان الأمران في داخلي يصطرعان
مثلما يتصارع في فصل الربيع ثعبانان
الماء يسيل من عيني وأنا أضحك في الوقت نفسه ،
لماذا ؟

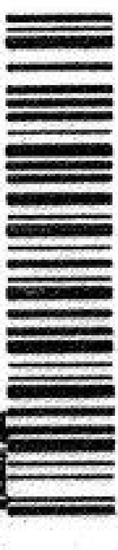
أنا ماوغلي المنشطر إلى نصفين
ولكن جلد شيرخان تحت قدميّ هاتين
انظروا .. انظروا جيداً .. أيها الذئاب
قلبي يطفح بأشياء لا أفهمها ، ولكن لها طعم الحنين

الفهرس

كتاب الأدغال

ريديارد كبلنغ

تعرض طفل صغير للخطر ، إذ ضاع في الأدغال الهندية المخيفة ، وكان يدعى (ماوغلي). واستطاع هذا الفتى أن ينجو من أخطار الغابة كلها ، بما فيها من قرود متوحشة ، وحيوانات شرسة ، وخاصة النمر (شيرخان) وذلك بفضل عطف أمه الذئبة عليه ورعاية الفهدة السوداء له . ولولا رعاية هذه الحيوانات الصديقة له ، لما اكتملت قصة (ماوغلي) .



صدر من هذه المجموعة :

1 ـ الذئب الأبيض
2 ـ توم سوير
3 ـ الهندي الشجاع
4 ـ مذكرات حمار
5 ـ نداء الغابة
6 ـ روبنسون كروزو
7 ـ هايدي
8 ـ حكايات أندرسون
9 ـ عشرون ألف فرسخ تحت البحار
10ـ ريمي الصغير
11ـ نساء صغيرات
12ـ جزيرة الكنز
13ـ حول العالم في ثمانين يوماً
14ـ كوخ العم توم
15ـ شرلوك هولز
16ـ مغامرات الكابتن فراكاس
17ـ حـ
18ـ الـ
19ـ كتـ
20ـ أحـ
21ـ الـ
22ـ الـ
23ـ أحـ
24ـ قـ

تصميم الغلاف : هيثم فرحان


دار ربيع للنشر
RABIE PUBLISHING HOUSE
سورية - حلب هـ ٢٢٤٧٠٨ - دمشق هـ ٢٢٣٠١٨٣